محمد المكي إبراهيم

الأعمال الشعرية

أمتي

الوعي والحلم والغضب

الطبعة الأولى:بيروت 1969

الطبعة الثانية:الخرطوم 1995

الخرطوم الأولى

هربا منها واليها

(1963-1960)

شـئ

شئ في قلبي كالأكلان

كدبيب بعوض داخل طبلة أذن

كالرغبة في تحكيك قفا أو ذقن

يتحرك ذاك الشيء على الأغوار

بخطى التنميل،خطى الإرهاص،

خطى الأحزان

في بدء الأمر شعرت به في الصبح

في صبح الجمعة بالتحديد

ساعتها كنت بلا شغل وبغير رفيق

فشعرت به في القلب يدب

كنقاط الزير وفي بطء ينصب

يتدحرج أملس أملس فوق القلب

ويطير مساء الجمعة أبخرة لا لون لها

لا أعقلها إلا حين يعود الشيء يدب.

ويظل الشيء يجيء لدى الميعاد

ويطيل الزورة، يشنقني

ينشك على روحي أوتاد

وأخيرا لازمني لا يبرحني إلا ساعات الميلاد.

يا هذا الشيء العالق فوق الروح

وفوق النبض

لم ينفع فيك الأوقيانوس وكل كحول الأرض

ووضعتك فوق الجمر فلم يصهرك الجمر

ودعكتك بالأحجار

تثلمت الأحجار

يا هذا الشيء بلا اسم وبغير قرار

أنا اعلم انك تتلفني يا هذا الشيء

وستقتلني حتما حتما

يا هذا الشيء.

لكن بالله عليك

وبحق الخير ،وحب الله، وعزات الإنسان

لا تعجلني

دعني أحيا

دعني اصطاد هياكل اسماك ودخان

ولصيقا بالإحساس ستحيا أنت

إن تقتلني فالخاسر أنت،

الخاسر أنت.

قطار الغرب

عفوا عفوا يا أجدادي شعراء الشعب

يا من نظموا عقد الكلمات بشكة سهم

أنا اعلم أن الشعر يواتيكم عفو الخاطر

عفو الخاطر.

وسبقتوني في هذا الفن: وداع الأحباب

خضتم انهار الدمع وراء أحبتكم

باركتم بالدعوات مسار أحبتكم

من أسكلة الخرطوم

إلى الجبلين

إلى الرجاف

قاسيتم

وأنا يا أشياخي قاسيت

كل السودان يقاسي يا شعراء الشعب

فدعوني أسمعكم شجوي

شجوي ادعوه قطار العرب.

اللافتة البيضاء عليها الاسم

باللون الأسود باللغتين عليها الاسم

هذا بلدي والناس لهم ريح طيب

بسمات وتحايا ووداع متلهب:

كل الركاب

لهم أحباب

هذي امرأة تبكي

هذا رجل يخفي دمع العينين

بأكمام الجلباب:

"سلم للأهل ولا تقطع منا الجواب"

وارتج قطار الغرب تمطى في القضبان

ووصايا لاهثة تأتي وإشارات ودخان

وزغاريد فهناك عريس في الركبان.

..

..

ها نحن تركنا عاصمة الإقليم

دخلنا وادي الصبر

كل الأشياء هنا لا لمعة تعلوها

كل الأشياء لها ألوان القبر

الصبر الصبر الصبر

الصبر الصبر.

الكوخ المائل لا يهوي

والشجر الذاوي ليس يموت

والناس لهم أعمار الحوت

أحياء لان أبا ضاجع أما

أولدها فأسا يشدخ قلب الأرض

يحتاز كنوز الأرض ويبصقها دما

لتظل البورصة حاشدة

والسوق يقام

وقطار الغرب يدمدم في إرزام

تتساقط أغشية الصبر المترهل حين يجيء

ألوان الجدة في وديان الصبر تضئ

والريح الناشط

في القيعان يمر

يا ويل الألوية الرخوة

يا ويل الصبر.

ساعات الأكل تعارفنا

الصمت الجاثم في الحجرات انزاح

وتبادلنا تسآل فضوليين

تحدثنا في ساس يسوس

وتحذلقنا عن جهد الإنسان الضائع

فغرسنا كل الأنحاء مزارع

جئنا بالجرارات حرثناها،

هذي الأرض الممتدة كالتاريخ

حبلى بالشبع وبالخصب المخضل

والناس هنا خيرات الأرض تناديهم

لا أذن تصيخ

..

دعنا منهم وتدارسنا تحديد النسل.

وتجولنا عبر الدرجات
عربات شائخة تتأرجح بالركاب
ومقاصير للنوم
بها أغراب

الأولى خشخش فيها الصمت
والرابعة العجفاء بها إعياء
ضاعت تذكرة المرأة ذات محط
ورجال يكتتبون ورجرجة وضجيج
ومآذن في الأفق المدخون تضيع
كوستي..وأناس ينصرفون بلا توديع
وأناس يشتجرون على الكنبات.

ها نحن دخلنا ما بين النهرين
الناس هنا جنس آخر
فقراء وثرثارون ولهجتهم في لين القطن،
والباعة ملحاحون وحلافون
ولهم آذان تسمع رنة قرش في المريخ.
هذا نوع في كل نواحي القطر تراه
جنس رحال منذ بدايات التاريخ
ارض الذهب البيضاء بهم ضاقت،
رغم الخزان المارد والذهب المندوف بهم ضاقت
فانبثوا في كل متاهات السودان.
الأمر المفرح أن لهم آذان

وعيونا تعرف لون الذئب الرابض للقطعان

وسواعد حين يجد الجد تطيح.

هذي ليست إحدى مدن السودان

من أين لها هذي الألوان؟

من أين لها هذا الطول التياه؟

لا شك قطار الغرب الشائخ تاه.

وسألنا قيل لنا الخرطوم

هذي عاصمة القطر على ضفات النيل تقوم:

عربات ،أضواء وعمارات

وحياة الناس سباق تحت السوط.

هذا يبدو كحياة الناس

خير من نوم في الأرياف يحاكي الموت

ما أتعسها هذي الأرياف

ما اتعس رأسا مشلول الأقدام

ما اتعس رأسا لا تعنيه تباريح الأقدام.

ونزلنا في الخرطوم بلا استقبال

فتذكرت الحشد المتدافع في إحدى السندات*

برتينتهم** وقفوا في وجه الريح

وأطل من الشباك فتى القرية

قد عاد أفنديا ابن القرية

وانهالت بالأحضان تهانيهم

وأنا لا حضن سوى الشارع
يتلقفني،يتلقف أجدادي الشعراء
هم في الطرقات وفي المذياع بكاء
خلف المحبوب من الجبلين إلى الرجاف

ما أحلى أياما لا تعرف إلا هم الحب
ها نحن الآن تشبعنا بهموم الأرض
وتخلخلنا وتعاركنا بقطار الغرب
إني يا أجدادي لست حزينا مهما كان
فلقد أبصرت رؤوس النبت تصارع تحت الترب
حتما ستطل بنور الخصب ونور الحب
حتما حتما يا أجدادي شعراء الشعب.

*السندة دون المحطة يتوقف عندها القطار لحظات قلائل ثم يواصل مسيره
**الرتينة في عامية السودان هي اللوكس أو البريمو وهي مصباح يضيء بأبخرة الكاز

غمائم

انبهمت مسالك الحنين

لم يعد لطفلة تركتها وأم

ولا لرفقة يضرجون مفرق الطريق دم

ولا إلى ضفيرتين استريح فيهما

صار الحنين غائما

جزيرة على البحار نائمة

لو حاول الشعاع أن يطوق الشطوط ما استطاع

سيلهث الشعاع

يدركه الونى وينبهر.

أريد من مدائح النبي أسطرا

غلائلا من الشجى معطرة

المادحون ينثرونها على فقيد

يسربلونه بلحنها المفضض المديد

يعوذون من مهالك الحساب نومه الأبيد

أريدها

أريد أن يلفني انسراحها

يسحبني على رخاوة الشجى جناحها

أنام في التأرجح المديد

لكنني نسيت كل اسطر المديح غير مقطع وحيد.

هذا عصير الشمس فوق جبهتي

هذا كساء أمتي

هذا أنا

وقبل عالمين كنته

وبعد ألف عالم أكونه

حتى إذا أبيته أصونه

..

كفوا عن البذاء والرياء هكذا أنا

لن تسلخوا كساء أمتي

هذا الكساء دمغتي

في بلدي تنسرح الدروب للسما

على الرصيف ننثر السلام انجما

لكنما الطفولة التي هنا

تصيح بي(حي الإله) تستعيذ

رياحكم ماسخة عجوز

في بلدي نعطر الهواء بالمديح

روائح الطعام والضيوف من بيوتنا تفوح

والجارة التي يرف بالشباب وجهها الصبوح

يا عطرها الشفيف ينشق النهار من شذاه

أواه لو لمرة أشمه،

أضمه،

المسه،

أراه

أواه لو تفيد النازح الغريب آه.

لا أستطيع أن أعود ماشيا فالبحر لم يعد مطية الشراع
لكن قدرتي على الرجوع لا تحدها البحار
في خاطر يطيف بي أعود
على جناح غنوة كسولة أعود
ولو غرقت في الذي مضى
لثمت طفلة تركتها وأم
ورفقة يضرجون مفرق الطريق دم.
لكن عودة مع الخيال لا تفيد
لا أستطيع أن أتم هكذا قصيدة بدأتها
عن الذين يشربون الشاي في خلية الدجى
يهيجون نومه البهيج بالرؤى
وينظمون الشعر دونما قلم
(فالشعر لا تحمله السطور
الشعر عار ربة زنت، قربانه الولاء والألم)

أكبر من مشواره الزمن
أنا الذي يسير ،فالذي مضى
يعيش في الذي يجيء
وذلك الذي طفوت فيه اشهرا
رصدته مستقبلا وحاضرا
لم يقتل الذي حسبته انقضى وصار عالمي الوضيء
.. ..
الآن أستطيع أن أراه
قصعة من الحليب،زهرة تعيش موسم اللقاح
تموت إذا يدركها الصباح

حتى إذا حسبتها عن الحديث أمسكت

تدفقت ألوهة،تمخضت خصوبة،تفجرت

تينبع الجفاف-أقبل الدرت*

العين في هواك غارقة

متى رأيت نظرة التدبر البصير في عيون عاشقة؟

متى استطعت أن أرى أبى

ولم تكن أصابع العقوق في اعتسافه النبيل غارقة؟

سلمت لي

يا ارض ميعادي ويا محبتي.

*الدرت هو موسم نضج المحاصيل في السافانا السودانية

عيونهما عليها التوت

وحلا بيت سيدنا فما اكترثت موائده

ولم يتوقف التيار

لم ينثر رشاشة حب.

أقول الحق جزء دقيقة وقفا

تهامس سدنة الآلات:يأتي زوجها معها

وقالت اختنا الكبرى:غرامهما بحار اللون

عند الفجر،

ألوية الطيور الضائعات الركب.

غرامهما هنيهة حب.

وعاد لسيره التيار

لا عنى ولا صخبا

ولا قمنا نقدم للعروس الخبز والعنبا

هززنا الكتف:تأكل لحم ساعدها

كأمر الرب

لضيفينا عذوبة دمية حولاء

رقة قبلة لم تعرف الشبقا

لضيفينا تآلف توأمين

تدليا من جنة الفردوس عريانين

تاها في فجاج الأرض ثم تلاقيا

وضعا فما في الفم واعتنقا

عيونهما عليها التوت:
تحسب أنها من اجله كانت
وأن لأجلها خلقا،
وأن عوالما من آخرين تدب حولهما بلا أصوات
عيونهما تعرت من سياج الضوء
دقت في بساط الآن خيمتها
وعافت لذة الإنصات
تعزت ويحها لم تدر أن عزاءها نجم قصير الليل
فتلة ريح.

وشيكا يفجع السمار صدع في جبين الشرق
وشيكا شرنقات العمر عن فجر الرؤى تنشق:
غرامكما مصالحة بدرب الرزق.

غرامكما ركود المهر،بذر الوهة في السيخ
شمس رأسها في الوحل.
ستبتر كفه الآلات،تتركه ضمادا بالدما مبتل
وتبكي اختنا الكبرى
يمصمص بالشفاه الأهل
..
..
لعل هواكما مد الجذور إلى حنايا الأرض،
شاد الدار
هيأ مهد طفلكما.. لعل.. لعل.

إصبع في الشمس

بثدييها يلوذ الجرح،
يلعق عاره ابن السبيل ويفرح الغرباء
بثدييها مشاوير السدوم، توقد الحمى،
وتوق النبض في الأشياء.
هنا عفوية الفعل الأصيل تشيأت دهرا من التيجان
وانبسطت موائد نعمة وعطاء

تينبعت المدارات الفساح لنا
تدلى النجم عنقودا
خذوا من عريها تبغا وموسيقى
وباستسلامها شقوا جدار الوعي _
حطوا إصبعا في الشمس.

ونعرف أننا نحتز ساقيها لتطعمنا
نهارا واحدا عشبا وتيجانا
ونعرف انه الجوع الوحيد إلى التعزي
واجتياز السر أعمانا
وأن الآخر- الجسد
لدى فتكاتنا أبد
من الكينونة الممحوة القسمات

ونعرف أن هذا الشق في الثديين

فتق في مشيئتنا ينز الدم

نزيف يقنأ التاريخ ،

يسكب في جبين الرب خزي هروبه عنا

ونحن نمد أيدينا نصيد النجم

وأعرف انه لا عاد يذكرنا ولا يهتم

وان لنا مشيئتنا

وجيل من هموم الأرض

ينقر في زوايا الغاب طبل الخلق

ينشئ فكرة التكوين

على أعتابنا كان النهار يحك لحيته وبرمقنا

سعيدا في توجعنا

سعيدا باحتراق الوعي في الغيبوبة البيضاء.

لان الكون حين نكف لا يبقى

تموت نضارة الأشياء

على أعتابنا يتفتت الدهر الكبير دقائقا صدئت

وأسأمها طويل الدرب والإعياء

لأن بنا مدارات الشمس،بوعينا تحيا

خلايا الدهر والأشياء

لان تتنصلا نحياه خلف وجودنا الواعي

يفجر عبر وجداناتنا نبع الحياة ومجدها الأبدي

بهذا الوعي اقبل ما بأيديكم

وانذر أن أعيش مع وضد وداخل الآخر.

غنائي لأختي أمان

بعينيك غرس من الحزن كفي سقته الدموع
أحاول اقلعه بالعزاء الكسيح وبالحقد لا أستطيع
تحجر نصلا بروحي، ورمحا بقلبي
وغيم في صورة منك أهديتنيها.

مع الصبح ألقاه في مكتبي ادمعا كالندى مستريحة
وفيضا من اللهف واللوعة المستجيشة
إذا مرة ثرت فيه أغض الجفون
وأغفى حزينا
يقينا ستدفن مقتولها أنتجونا
ولو خان عطر التراب
ولو نام خلف جدار المدينة

بعينيك غرس من الحزن ينمو
يمد على شرفة العود زهرا وكرما:
تعال إلينا كفاك اغترابا
كفانا عذابا!

ويا أخت لا البعد يحلو
ولا مضجع الشوق طابا
ويا أخت كيف المعاد،
ولم افن ضرع الحياة احتلابا

ويا أخت لي موعد والشروق أتى حينه
قليلا وتصحو رياحينه
فأحضر عرس الشروق
أكون على الساح إشبينه

وقد التقى المستحيل
يمزقني ضلة أو هدى
ويرفعني راية أو خرير

أماني من الرعب
لن تصبحين أماني من المستحيل
لعلي ألاقيه في حدبة الشارع الملتوي
..على أعين الناس
في الانخذال النبيل

لعلي إذا لم أجده...إذا مات في النزوع
أعود بلا تاج شوك
ولا صولجان
وأمسح عن مقلتيك الدموع.

محبتكم عصمتي يا أمان
محبتكم محور الكون،قلب الزمان
عيوني التي تبصر الذر أو لا ترى

يقينا أعود

لان الغياب الطويل

وشوقي إلى دهمة المستحيل

قرابين حب،ضحايا ولاء مسمنة يا أمان.

الشرف الجديدة

سأعود لا ،بلا وسقت، ولا بكفي الحصيد روائعا
مدوا بساط الحب واغتفروا الذنوب
وباركوا هذي الشهور الضائعة
ما زال سقف أبي يظل ولم تزل أحضان أمي
رحبة المثوى مطيبة الجناب.

كانت ليالينا بلون الثلج،
كنا نرقص الشاشا ويفضحنا النهار
خرست تعاويذ الجدود،تساقطت ،شعل الحنين
كسا ذوائبها غبار
في ظلمة التابو تسلقنا نحاس البوق
وانفتحت مسالكنا إلى رحم الحياة وطيبات عطائها
أنثى من اللحم الصقيل توهجت خصبا
وضج النسل في أعضائها
ومواسما دفء الربيع سرى
تذوقنا حلاوة أن نعيش الرعب والحمى
ونصمد للجليد

وا ذل أيامي إذا دمعت عيون الشيخ
قالت طفلتي أين القصور
وزخرفت أمي حماقات الشهور الضائعة
يا عفة الكذب الرؤوم تنزلي بردا عليه وطيبيه
وفتقي لخطاه صحراء النزوح مشارعا
لله ما أحلى تنفسه هواء البيت

ما أحلى تسلطه وسهد كتابه
ويحا لرمحته وطيش شبابه
أسفا على العام الخصيب قضاه في ‘شعب الجليد

يا أم مفترق الدروب جلال أن
نحيا ونعتنق الوجود
كنا هناك تطلعا يدمى وتضحية تجود
كنا نبارك باسمكم شمس النهار ونستحي
أن لا ننشر وجهكم فيها
ونمسح عمه أدمعنا الغزار.

كم ذا تجرعنا نبيذ الشمس باسمكمو وتوهنا الدوار
كم ذا تسمعنا مساجدكم تنوح، بيوتكم تهوي
وطوحنا عويل النخل في ريح الجنوب.
الله يشهد أننا كنا هناك الفطر والعيد الكبير
وفي مآتمكم توجعنا شتمنا (.. ..)
والأيدي التي تغتال استشرافكم قمم الحياة.

ذهبت بمجانية الحب القديم محبتي لكمو
وعدنا خالصين
في وحشة المنفى تحسست الثياب
ونحت مشتاقا إلى أصواتكم
وبكيت واستغفرت حبك يا أمان.
اليوم أقبض كل ذرات الحنان بلحظة مرت
وفي هذا الشروق
وكل ما تنفك عنه شرانق الزمن الوهوب

هذي اعتذاراتي، ودفعات النزوع

وكل ما خطته أيامي الصغيرة في الدروب

يسخو الفؤاد ويغتني فيضا من البهج المريح

بساعة تحتاطني فيها سواعدكم

وأمدد نحوكم كفي عريانين

إلا من معزتكم وحب عيونكم.

لا تسألوا ماذا وكيف

دعوا السلام يدشن الشرف الجديدة في فؤاد فتاكمو

عبر البحار ، وجاوز الصحراء

وانبسطت له قمم الجبال أتاكمو

كرما جليلا قدموه وسوف تغمركم عطايا الحب

والفيض الجديد.

لا تطلبوا يوما أساي على الغنيمة ما وردت حياضها

ما فاتني زمني

ولا زالت عيون الشيخ ترقب ما أخط،

تبارك الحمى وفورة نارها

فلترفعوا هذي الرؤوس

وباركوا فرح الحياة وعارها

قلبي لكم وعليكمو

وسواعدي ضد الشروط وضد إحناء الجباه الفارعة

وتذكروا أني أعود أمد صحراء الهروب شوارعا

مات التوحد وانتهى دهر العقوق

وها لنا الدنيا الرحيبة والخلود.

الشرف القديمة

سأعود ألويتي تشع وموكبي بالسائرين محدق
البوق يصدح والطريق مقوس نصرا
وألحان السماء ترقرق
مدوا بساط الزهر واحتطبوا النخيل
وانحروا للقادمين ذبائح البهج الحفي وفرقوا
العيد، والبشرى، وأمجاد القطاف،
وموسم الحب الوريف

كانت ليالينا هناك تمزقا ملء النهار
أقدارنا ملء الأكف وطوع أيدينا المدار
وعلى موائدنا يفح النجم،يلسعنا سعير الفعل
يشخب توقنا جوعا ونار

كم ذا قبعت الليل تحت ضفيرتين
تطوعا نسلا
وما عرفا غباء الخدر والعهر العفيف
كم ذا مددت إلى المجاهيل القصية ساعدا
يأبى ،يريد ويرتجي فيض الخلاص
ونعمة فوق السواحل بانتظار العابرين

كم ذا لعنت قنوعكم
وخنوعكم

وقعودكم صرعى
على أجداث من سلفوا وما تركوا لكم
إلا قصور ذواتهم عن قمة الفرح المؤشب والحياة.

كم ذا تمنيت السلامة من مخازيكم
وأرجعني إسار الحب
والعمر الطويل وآه ـ
نحن تشابكت أقدارنا حتى نهايات الزمان.

أفريقيا الجرح الطويل بذاءة فوق البحار
أبد من الطرر القديمة قائح ألما وعار
لن يعبر التاريخ من أبوابك الحمراء
يا أنشوطة النوم الذليل ويا ملاءات الغبار
غاباتك العشرون ما اشتعلت حريقا ـ
لم يهاجر في نواحيها ضياء الشوق
والتوق الوجيع إلى اتجاه

كنا هناك مجاعة للفعل
إمكاناتنا ضمرت
وراح شبابنا الضاري هباء
نبكي على أيامنا الموتى،
نتوق لصدفة تحيا بها أعمارنا تحت الرماد لوهلة
دنيا من البعد الأليم

في ليلة زملت رواحلنا،تنكبنا فتوق الريح

جاوزنا الموانئ والثغور.
كان العبور
وأكاد اجزم أنني عانقت خلف البحر
ألوية الوجود الحق والضرم الحياتي الجليل.

سأعود في كفي سيف الرفض والرؤيا
وفي عيني أمجاد الحياة
لا ترهبوا هذا التعري في جبين الشمس
لا تتنصلوا من محنة العصر الجديد.
في قلبها أبدا ومن فتكاتها نحيا، نموت
ونصنع البعث الكبير ونجتلي شرف الوجود

هذي سواحلنا تطل
لمرة أخرى أغادر دخنة الميناء
يصمت نورس تبع السفين إلى هنا
القارة الأخرى بها تاريخنا، ثاراتنا ،أقدارنا
ووعودنا للعالم الرحب السعيد بحفنتين من العطاء.

24 -26 يوليو 1863
عبر المتوسط (أثينا-إسكندرية)

الخرطوم الثانية

1966-1963

إيمـــــــاء

وعلى الجسر تناديك العيون العاشقة
العيون اللصة المستبقة العيون المشرعات الهدب في جسر الجنون
تطعن القلب بإيماءتها
وتغني لإله السوس والمستضعفين

أمس والشارع يدنو للعواهر
هزني الشوق إلى النهد المغامر
فتحاملت على الريح المذكى
والثريات التي تسفح مسكا
ونزوت.

كان إبحارا أليما
الدم المالح يورق
والحشايا
سخرت من ردفها العاري وعاري
ووثوق الجذوة الخائنة العينين
إذ تخبو وتشهق
شهقة الموت الفجائي

وأنا الشارع يستنطقني
والريح يعدو بإزائي
سائلا-
لهفا على الريح ولهفي
..

بغتة تبصق في وجهي الرماح الراعفة

يصبغ الدم حديد السرج حتى العكفة

فإذا العار وشاح الأمم المستضعفة

وإذا رعب الشظايا

والشياطين العرايا

قبة تحت الدجى منكسفة

ورداء ساحب الذيل الصبايا

والولايا

صحن وا غوثاه

فامتدت إليهن الرماح الخائفة

والنوايا

..

النوايا؟

أمتي

الوعي والحلم والغضب

الوعي

سبع حمائم

سيل عمائم

نحل في البرية هائم

موكب وعد موكب إمكانات أمتنا

نار ودخان

وثن طبل قرآن

طفل ظل يقوم الليل ويمسك في رمضان

حلم برفاه الأرض وخوف

من فتكات الغيب المقبل أمتنا.

عذراء كقلب القمحة أمتنا،عذراء

الألسن والشهوات هنا عذراء

أجفان الناس مكحلة بالعفة والإغضاء

حتى صيحات اللذة عند عواهرنا عذراء

محض ثغاء.

في أعلى قمم الشمس فرشنا للأضياف موائدنا

وركزنا في أحشاء الأرض بيارقنا

وتفيأنا نهر الدعوى وجبال العزة والنسيان

وتواصينا:

دقوا طبل التمجيد لامتنا

غنوا للشعب ملاحم عزتنا،حريتنا

غنوا للشعب على قيثار السادة والفرسان

فتمدحنا:

ها نحن على يأفوخ الشمس نخط مضاربنا

فولاذ الدرع،صخور الساحل،فيء الأمن مضاربنا

جاموس الغابة،وعل الواحة أمتنا

أفياء الأمن الممتدة

ضرس الإيمان الضارية الصلدة

جاع البارود وما جاعت

وتهاوى النجم ولم تهو

صمدت للريح بيارقها

تتمايح في الريح الحلو

تتمايح حتى انفجر الليل وهل الفجر

وانشب عبء المسئولية في الأعناق

عقود اللؤلؤ والمرجان.

الحـــــــلم:

الليلة قومي في حارات الشمس

حفاة الرأس

بغير سجاجيد ولحى

مرحى،في وقت عبادتهم

وبقلب الموسم يا مرحى

في مرج أعشب رمانا

أينع شبعا، ريا ، فرحا

وبساعة لهو-يا لله

كنا نتقاذف بالأثمار:

كور طينا ما بين يديك ولا تعبأ

بالجبة بالسروال الأبيض لا تعبأ

أثواب السهرة لا تعبأ

اقذف أصنام السطوة والتخويف

الصق نيشانا فوق نصاعة هذا الزيف

اصنع لخدود فتاتك شامة طين

رقش أهدابك

بلل أثوابك

زيتا ،عرقا، طين

..

الليلة كنت اشق السوق وفوق ذراعي امرأتي

خضراء النهد،مباركة الشفة

عارية الساق،معافاة العينين

مكحلة بالجرأة والثقة

الليلة امرأتي

والشارع يغمزنا ويحيينا

يتفتح ثغر الله بوجهينا عنبا ورياحينا

تتكور فوق عيون الناس كروم الحب بساتينا

يتفجر نبع مشاركة وإخاء.

الليلة أفريقيا فتحت دغلا

فتحت دربا

أخذتني بالأحضان.

هذا مجد الإنسان

أن يأكل قبل المدخنة

ويصفر قبل القاطرة

وينام على قلب أخيه الإنسان

هذا ابد التيجان بأفريقيا

الرؤيا تزحم عيني الرؤيا

أتلمس في الأدغال وفي صحراء البهو معالمها

أتلمس لا ألقى إلا حبات مسا بحكم

حبات مسا بحكم..

حبات مسا بحكم

سبحان الحلم الوارف فوق مداخل أفريقيا.

الغضب

في قمة الشمس الصبية أمتي لفقت عمائمها ووثقت العباءة
حضنت مصاحفها وخطت في السهول مضاربا سودا
وأحكمت البناء.
عار الدكاكين ، الأرائك والمقاهي والفرندات المضاءة
ومجالس الخمر الذليل وجثة الأنثى وأسعار البذاءة
هذي السراويل الوقورة حشوها زيف الخنوع
وذلة العيش انحناء
هذي المتاريس المشيدة لم تمد سقوفها يوما
إلى الضيف احتفاء
متلصصا وقف النهار على نوافذها وناح الطبل
بح تشنجا وبكى نداء
أفريقيا رقصت لدقات الطبول

تطهرت في نهرها القديس
قدمت الذبائح والفداء
وهنا بأحداث السهوب تحك امتنا عجيزتها وتلتفع العباءة
يا خوفها الملعون من مرأى الدم القاني يسيل على وسائدها
ويمنعها التضاحك والمواء.

أواه ها حلمي يطيش وها أنا متوجه نأيا يطول تعزيا
نسكا سأرقص،أشرب الخمر الزؤام
أسب تاريخي هناك تشفيا
أواه ها خوف النكوص يشل أقدامي

ويرجعني إليك مصليا

متنكبا رمحا ، أطاعن صخرة

لا انتمي أبدا إليك ولا أطيق تخليا

سأظل أصرخ هاهنا

حتى يموت توهج الحمى وينطفئ الشباب.

قصيدتا حب ومهرجان

أعطى الحبيب كفه عرافة الحمى

أعطى حرير غيمة ومهد شاعر

وحقل انجم وقال:

عرافة الحمى

شقي عن الغيوب-

سدولها

واقتحمي على المجهول صمته وعزلته"

تأملت، وهدهت ،في حضنها كف الحبيب

لحظتين:لحظة الدهش ولحظة المفاجأة

وانطلقت بعدهما تقص رؤياها على الحبيب

تقص عن قلبي وعن حبي-

حبي أنا لذاته الحبيب

كفاك يا قصيدتا حب ومهرجان

وسادتان فاحا عنبرا

شهدا وخمرة وبوح ياسمينة تقطرا

كفاك تحرسان

عمري وتاريخي من الأفول

إذا هما استقرتا (وشدتا) على يدي

تفرعنت يدي

وشيدت وقوضت وغرست وأبدعت

ألوهة جديدة وعالما بتول

وإن هما على الجبين مرتا

أراحتا الجبين

من فورة الحمى ومن طراوة الذهول

وان هما على الفؤاد حطتا

وأنصتا

لكان خفقه اكتسى

ضراوة ووهجا وعنفوان

ودق حتى آخر الزمان

بالأمس بعدما قلنا إلى اللقاء

تغامزت على نجمتان

تتحنح النيل الوقور هازلا

وهنأتني نجمة مغازلة

وقال لي الشارع:"من يماثلك؟"

حبيبتي قولي:متى وكيف ذاع امرنا

ترى تركنا ياسمين المنحنى

يسترق السمع إلى حديثنا

ففاح عطر ما قلنا مع شذاه

أم أنني همسته لله في فجرية مؤذنة

أم أننا

بحنا لنخلة معرجنة

فلقحت من حبنا

وطرحت لآلئا وكهرمان

أم إنني أنشدته مغنيا وما دريت؟

لعلني

لعلنا

أظن يا حبيبتي غرامنا

هو الذي يفضحنا-غرامنا.

الحـــــــظر

بالأمس في المساء اقبل الجنود،
وعصبوا عيوني
وكالجواري الناشزات قيدوني
وعندما خرجت سائرا تصايحوا على: قف
وفتشوني

في كل باحة أحببتها
انتصبت حوائط السكون
لم يبق في الرصيف حجر على حجر
أنكرني المصباح والشجر
"كأن في السفوح برصا وفي فم المدى حجر"

وفي المدى سدود
وللخطى حدود:
الصمت والجنود
يزنون بالشوارع التي أحببتها
وبالحدائق الواسعة العيون

قابضة على الحديد
تمخضي خلف البيوت المغلقة
خلف سدوف حقدك الحارقة

المحترقة

ولتلدي ثورتك الأولى

وبعثك الجديد.

هايدي

هاهنا ينشنج البوق عواء
المصابيح هنا تنزف عارا ودماء
والطبول التهبت عضا ودفعا وارتماء
لك ياهايدي يضج البوق والطبل انشنج
رحم الأرض اختلج
فاسمعي من ساحة الرقص الدعاء

عربدي كرا وفرا وانثناء
خطوة قافزة ثم انحناءة
بعدها ينفجر الساح انفجارا
غابة سيقانها الحمى وأيديها الإثارة
وطيوفا كالشعاليل اعتناقا واختصارا

ما علينا نحن لو درنا مع البوق
تساقطنا دوارا
وتعاوينا سعارا
وتمددنا مع البوق أثيرا ناعما
ما علينا لو تحلقنا على المصباح صدرا وفما.

فجأة ينقشع التبغ وتنزاح غشاوات الكحول
ويخر السقف والبار المعلى والسدول
يثب الجاز إلى أعصابنا

أملسا، رخوا ، مديدا ، خائنا

ومليئا بالشجى والجوع والرعب الخرافي الأصول.

فلتكن من بعدنا اللعنة ولتأت على أعقابنا

هات خمرا أيها الساقي ولا تعبأ بنا

نحن جدفنا على الخالق قبل الخلق والتكوين

من قبل الخطيئة

فليكن

واعزف لنا فالسا بطيئا

إنها تجعلنا اكثر إلفا ووثوقا:

طائرين استسلما نوما عميقا

وحبيبين إلى الليل اطمأنا

حفرا في ساعد النجم وناما

..

وأنا فارسها القادم من راس المدار

من بلاد تأكل الجوع وتقتات الدوار

جارحا يطعن حتى اللون والعطر

وفتلات الإزار

وهي وعد النار للغابات،وعد النسل

وعد الجوع والفوضى

ووعد الإصبع الدامي بأبواب النهار

تتمشى في أضاليعي حمياها فانهار جموحا وانبهار

تتمشى زلقا يجلدني ،يفتنني،يفتك بي،

يقتلني

يرفعني غصنا وبيتا ودثار.

..

لك يا هايدي يجوع القلب والساعد والزند الخجول

لك يا أفعى من البوق تغذت والطبول

لك يا اخصب دورات الفصول

لم يزل مشتعلا، منفعلا، مضطرما

هذا الفؤاد

لك من دقاته الكبرى نصيب لا يزال

ناشرا ألوية الترحيب والود القديم

لك يا هايدي يدوم الحب والود القديم.

أناشيد لأكتوبر

النشيد الأول: للطلبة

من غيرنا يعطي لهذا الشعب
معنى ان يعيش وينتصر.
من غيرنا ليقرر التاريخ والقيم الجديدة والسير
من غيرنا لصياغة الدنيا وتركيب الحياة القادمة.
جيل العطاء المستجيش ضراوة ومصادمة
المستميت على المبادئ مؤمنا
جيلي أنا

هدم المحالات العتيقة وانتضى سيف الوثوق مطاعنا
ومشى لباحات الخلود عيونه مفتوحة
وصدوره مكشوفة
بجراحها متزينة
متخيرا وعر الدروب وسائرا فوق الرصاص منافحا
جيل العطاء لك البطولات الكبيرة
والجراح الصادحة
ولك التفرد فوق صهوات الخيول روامحا

جيل العطاء لعزمنا ختما يذل المستحيل وننتصر
وسنبدع الدنيا الجديدة وفق ما نهوى
ونحمل عبء أن نبني الحياة وننتصر.

النشيد الثاني: الأربعاء 21 أكتوبر

بالأربعاء طبولنا دقت وزوبعت الفضاء
صيحاتنا شقت جدار الليل واقتحمت فناءه
وتحدرت نارا بآذان الطغاة العاكفين على الدناءة
الخائنين السارقين القاتلين
الحاسبين الشعب أغناما وشاء.
بالأربعاء هتافنا شدخ السماء
حفت بموكبنا بطولات الجدود تزيد
عزمتنا مضاء
وتقاطر الشهداء من أغوار تاريخ البلاد مهللين
مباركين نضالنا.

بالأربعاء الرائعة
نصبوا بروج الموت فوق الجامعة
وتفجر الغاز البذيء على العيون مدامعا
وتوحش البارود،لعلع في الجباه وفي الرئات وفي الصدور.
في لحظة الغدر الذميم تينبعت من خلفنا
زمر الزغاريد التي صدحت بها أخواتنا
فتسوخت قدم الكفاح على لهيب المعركة
ثبتن أقدام الكفاح على لهيب المعركة
الدم يرخص والرئات لتنشوي
لن تنثني خطواتنا المتشابكة.

الأربعاء على جبين الدهر لؤلؤة ومتكأ انتصار

زغرودة تحمي ظهور الثائرين

وكأس أفراح تدار

يا غرسة المجد الطويل على مصا ريع النهار

فلتسمقي جذعا وتزدهري بأنواع الثمار

ولتبق راية ثائرين

وملتقى متسامرين

ودوحة افياؤها مجد وخضرتها نضار.

النشيد الثالث: للقرشي

وكان في قريته الذرة
مثقلة الأعواد بالثمار
والقطن في حقولها منور
ولوزه نضار
وكان في العشرين لم ير
ألفا من الشموس مقبلة
ولم يعش هناءة الزفاف
ولم يكن في فمه اكثر من هتاف

ولم يكن في يده اكثر من حجر
وكان في المقدمة
على خطوط النار والخطر
فجندلوه بالرصاص داميا منتفضا
وفي اكف صحبه قضى
..
تعطر الثرى بدمه واختلج التراب
أجفل صبح قادم وشاب
وقف شعر النجم والأجنة
هبت عليه بالرضا رياح الجنة

تصاهلت خيول المركبة

واصطفقت اجنحها المرحبة

وهكذا

على وسادة من الريش الوثير

تصاعدت إلى السماء روحه الزكية

إلى النعيم بطلا وثائرا

وقائدا رعيل الشهدا

ورمز إيمان جديد بالفدا

وبالوطن.

النشيد الرابع: للثورة

لفوه في علم البلاد ودثروه بحقدها وعويلها
بتأجج الغضب المقدس فوق تربتها وملء سهولها
بشموخ وثبتها إلى الحرية الحمراء تقطر بالنجيع
وتدفقوا متظاهرين محطمين العار والذل الطويل
وكل ألوية الخنوع
لا البطش يرهبهم ولا الموت المحدق بالجموع:
" لن تفلت الأفعى ولو حشدت أساطيل الجحيم
وحصنت أوكارها
الثورة الشعبية الكبرى تغذت بالدماء وأضرمت
فوق المآذن نارها
والنصر حف بها وباركت البلاد مسارها

ويل لهم من غضبة الحق الأنوف وثورة الشعب الجليلة
ستظل وقفتنا بخط النار رائعة طويلة
سنعلم التاريخ ما معنى الصمود وما البطولة
سنذيقهم جرحا بجرح
ودما بدم
والظلم ليلته قصيرة.

النشيد الخامس: للانتصار

باسمك الأخضر يا أكتوبر الأرض تغني

الحقول اشتعلت قمحا ووعدا وتمني

والكنوز انفتحت في باطن الأرض تنادي

باسمك الشعب انتصر

حائط السجن انكسر

والقيود انسدلت جدلة عرس في الأيادي

كان أكتوبر في امتنا منذ الأزل

كان خلف الصبر والأحزان يحيا

صامدا منتظرا حتى إذا الصبح اطل

أشعل التاريخ نارا واشتعل.

كان أكتوبر في وقفتنا الأولى مع الملك النمر

كان أسياف العشر

ومع الماظ البطل

وبجنب القرشي حين دعاه القرشي

حتى انتصر.

..

اسمك الظافر ينمو في ضمير الشعب

إيمانا وبشرى

وعلى الغابة والصحراء يمتد وشاحا

وبأيدينا توهجت ضياء وسلاحا

فتسلحنا بأكتوبر لن نرجع شبرا

سندق الصخر حتى يخرج الصخر لنا زرعا وخضرة

ونرود المجد حتى يحفظ الدهر لنا اسما وذكرى.

النشيد السادس: للشعب

إنني أومن بالشعب،حبيبي وأبي
وبأبناء بلادي البسطاء
وبأبناء بلادي الفقراء
الذين اقتحموا النار
فصاروا في يد الشعب مشاعل
والذين انحصدوا في ساحة المجد
فزدنا عددا
والذين احتقروا الموت فعاشوا أبدا

ولأبناء بلادي سأغني
للمتاريس التي شيدها الشعب
نضالا وصمودا
ولأكتوبر مصنوعا من الدم شهيدا فشهيدا
وله لما رفعناه أمام النار درعا ونشيدا
وله وهو يهز الأرض من أعماقها
بشرى وعيدا.

فلتكن عالية خفاقة راية أكتوبر فينا
ولتعش ذكراه في أعماقنا
حبا وشوقا وحنينا
وليكن منطلق الشعب
لإيمان جديد بالفدا
ولإيمان جديد بالوطن.

على أعتاب يناير

صباحك يفجأنا الآن بين الأناشيد والزينة الحاشدة

وعبر الثريات والنخوة السيدة

وعبر الأماديح يسأل أشواقنا الراقدة:

"لماذا تظلون في السفح

والقمم البكر تدعو إليها الخطى الصاعدة

ونبض الفدادين يزحم سمع المدى

وقلب السماء مشاعية للصواريخ والأجنح الرائدة

لماذا؟"

وليس لدينا سوى الصمت والعار والطأطأة

لدينا المعاذير يا يومنا "المفتدى"

*أول يناير هو اليوم الوطني للسودان

مرثية حب طفل

عندما أسبل جفنيه وأغفى

خلته نام بحضني وكأم

رحت يا ويحي أناغيه بلحني ودعائي

وأغطيه بقلبي ورداءي

وتنبهت له عند المساء

فإذا الطفل الإلهي الذي ضوأ قلبي بالفرح

والذي أدفأني طول الشتاء

ساكنا بين ذراعي وبالموت اتشح

جثة باردة بين ذراعي انطرح

وارتمى صمتا أبيدا بإزائي

آه يا عيني تمنيت له موتا جريئا

وبأيد غير أيدينا

وسقف غير هذا

فلماذا نحن يا ذاهبة عني تركناه يولي

قبلما يخصب عمرينا بكلمات وداع؟

لا يأس

اليأس لا يحفر في الضمير
جرحا يغذي توقنا ويلهبه
لا يفعم الشعور او يكهربه
لا يفتدينا حينما العصور
تسحب عصرنا لصخرة وتصلبه

واليأس ليس ناهشا ولا معذبا
لأنه وثير
لأنه ضرب من التخدير
لأنه رخاوة محببة

أعرفه هزة أكتاف ورفع حاجبين
وبسط كفين محيرتين
وزم شفتين
أو بسمة هازئة من اليقين
اعرفه فقد تآخينا طويلا في الضياع
وقد أكلت في صحافه
وذقت خمرته
عرفت صوته ومشيته

وعندما تفجرت نوافذ الوعي ضياء وشعاع
أدركت انه...خداع
.. ..
اعرف انه يمد في الهجير

فيئا حريريا ومتكأ

يرش ساحات البيوت بالصدأ

ويرسل الكرى

إلى عيون الساهرين في بوابة الخطر

إلى عيون الجند والخفر

فان أتاكم لا تقولوا مرحبا ولا تبايعوه

لا تجلسوه بينكم ولا تحاوروه

وحينما يبسط سجادته الحرير

وينشر الوسائد المقصية

تعاونوا عليه واطردوه

..

أعرف أنه محفة ادعاء

سور تعال زائف وكبرياء

وذيل طاؤوس بغير ريش

وانه إغراء وقفة فوق رؤوس الجمع –

بالباطل وقفة ازدراء

..

أعرف أن الأدعياء روجوا له

والبسوه تاج زيف

لكنهم يظلون أمام الحق أدعياء

..

إذا أتوكم قائلين ها مليكنا فلا تبايعوه

لا تكسروا نظرتكم أمامه

ولا تكرموه

لا تمنحوه غير حقدنا الحارق

لا تهادنوه

وثبتوا أقدامكم يا اخوتي

فنحن واثبون ليلة وخالعوه.

زنزباريات

ظهيرة على شاطئ

بالخضرة المنتصرة

وبالغصون المزهرة

ينبسط السهل ويرتمي

في شفة النيل

وبالعذوبة المنهمرة

تبلل الرياح

ذوائب العشب وتحتمي

من خمرة الشمس بخمرة الصباح

تموجي أيتها الرياح

تموجي كأنما وشاح

يسحب فوق السهل والنبات

وصففي بالرفق والمطاوعة

شعر المراعي

واتركي أصابع الشعاع

تبعث فيه النشوة المزعزعة

..

حصيرة من الزئبق كان النيل

يرتج تحت الوهج الجاسر،

لا يجري ولا يسيل

يرتج والقارب والصياد

يرتسمان أشباحا من السواد

في صفحة التوهج المعشي

كأنما يغالبان .. جذبا من الوراء
ينسلخان من كثافة الزئبق والهواء
و'يجلدان بالشمس المحماة وبالبقاء
وحدهما مستيقظين ساعة المقيل.

تنكس الشواديف رءوسها الشماء
تكف أصوات النواعير عن البكاء
وتفتح الظهيرة الحمراء
نوافذ الأسى الفاتر والإعياء.
عندئذ تهبط ساعة المقيل
فوق الشواديف وحيوان الحقل
والغابة والسهول
تهبط بالصمت الرصاصي وبالتثاؤب الثقيل

تهبط حتى تلصق النسور باستدارة السماء
وتذهل الغصون
عن التمايل الدائب والأفياء
تثبت كالمصاطب السود
وتعلن الحداد

تقيل كل الكائنات إلا أنت يا صياد
فالسمك النيلي في الظهيرة
يلوذ بالأعماق
من صهد الشاطئ يا صياد

منحدرا من جبل القمر

محملا بالمدن الصبيات

وبالنسل وبالثمر

يقبل كالديمومة الخضراء

مخترقا مغاور الغاب إلى مغاور الصحراء

كالفرس الأصيل

يضرب بالحافر وجه الشاطئ الطويل

وفي مواسم اللقاح

يجيش كالفحل ويرتمي على نهود الأرض بالتقبيل

وهكذا تولد في الضفاف

فوق أيادي الشمس والهواء

مشاتل السيال والخروب والصفصاف.

خمس من النساء

مخوضات في شراسة الشوك وفي الشقوق

يجمعن في الغابة حطب الحريق

خمس نساء فقراء

يجمعن للوقود ساقط الأغصان واللحاء

وعندما اقبل حارس الغابة في دوامة من الصياح

قذفن للأرض بما جمعنه

وأطلقن مع الرياح

سيقانهن

واختفين في دوامة من الصياح

..

يا شجر السنط بوجهك المرصوع بالنوار

بجذعك المهول

بشوكك الأبيض كالشيب على مفارق الكهول

اخضرة أنت أم اصفرار

وصفرة أنت أم اخضرار

وعاشق أنت أم النهار

ألهب وجنتيك بالفخر وشد قامتك؟

..

..

ظهري على العشب وعيني على الزرقة في السماء

اسمع نبض الأرض

والليونة الخضراء تنغل من حولي

وتسكب السماء

زرقتها الخفيفة الهيفاء

تسكبها حتى لأبصر النهار

من خلل الأشجار

مضرجا بالزرقة الهيفاء كالبحار

وكانت المراكب المحملات بالقرميد تنتظر

وكان بحارتها العرايا

ينبطحون في الظل ويحلمون

..

..

أيتها الظهيرة الحمراء

أيتها القسوة في السماء

أيتها البحيرات من السكون

تجمعي من فجوات الأرض والشجر

وانسحبي

من المراعي والمدى المنتحب

وخلفي السهول

لمهرجان الذهب

للمهرجان الذهبي في الأصيل

ربما الدوار

كان ملاكا حين شق صدري

غاسلا بلؤلؤ الندى فؤادي

(بلؤلؤ الندى

وبالتموجات في الصدى

فؤادي)

حين اصطفاني شاهدا

وولدا ووالدا

وخاطرا فوق مجال الوعد والمعاد

وكان خائنا وملحدا

لما مضى

مخلفا صدري بلا ضماد

خلفني للشبق الفادح والسهاد

..

..

كان جميلا حين زياني

لباس الأمن والروعة والبهاء

توجني برغوة الشمس وبالعبير والغضب

بخصل من اللهب

وحلل من الضياء

توجني حتى غدوت في جمال الأمراء

وفي أواخر المساء

جردني- ولا أزال نائما- من الخصل

جردني حتى من الغطاء

تبا له

أسلمني لقسوة الشتاء

..

كان قويا حين شالني إلى السماء صاهلا

مندفعا إلى السدوم الهائلة

مطوفا على النجوم ساحلا فساحلا

مطوفا حتى لقد أشهدني تراجع البصر

وجهشة الضوء

وأهداب الملائك المبللات بالتقوى وبالمطر

حتى انتشيت، بالتنهد الهادئ والعميق

من رئات البحر والجزر

وعندما خفقت كالنجمة خارج التاريخ والمكان

انسحب الجناح من تحتي وأجفل الحصان

ورحت أهوي خارج التاريخ والمكان

..

..

أهوي ؟ ومن درى

لربما الصعود ما ارى

وربما الدوار

يحملني الخيال أحيانا إلى سواحل البحار

إلى الشواطئ المضرجات بالشهوة

والوحشة والبهار

والجزر المتكئات في ذراع الشمس كالنساء.

عندئذ ينكفئ البحر على السماء المقمرة

وتقفز الينابيع من الغصون المزهرة

وتجدل الرياح إكليلا من اللحون

فارتمي على حبيبات من الصفاء

طفاوة من كسل الموج

ومن هشاشة البكاء

ومزقا من التدافع الصادح والدعاء

وعندما تبدأ روحي ذلك التسلل الناخل

من مغاور الجسد

يشرق وجهك الصابح عبر الموج والزبد

يشرق كالغفران،كالصحو ، كدمعة الندم

يشرق أزهى منه لم ير

ولم يزوق مقلتي أحد

يشرق تتجاب التهاويل ويسطع النهار

يشرق ينتهي ويبتدي الدوار

..

ويلي أنا من الدوار

ويلي أنا من ذلك ألا زهى من النهار

من ذلك الناخر تاريخي وحاميه من البوار

من ذلك اليقتل واليحيى ويصنع الدوار

الله يا نداوة الذكرى ويا عذوبة المسيل

يا نهر إمكان ووعد مستحيل

يا دفة الفرحة بالجناح

يا ألما مقطرا طويل

إلى متى-

قل لي إلى متى الدوار؟

الإذن للجميع

البرجوازيون والمتعبون

كل مساء(ما عدا أواخر الشهر) هنا يحتسون

اخبث ما تقيؤه معاصر الخمرة من ثفل ويفتحون

معلبات الضحك الجاهز من بذاءات ومن مجون

يصفقون للساقي (بلا ذرة إعجاب) ويطلبون

فاكهة المجلس من نقل ومن ريحان

عندئذ يوضع ما بين قناني الخمر عاشقان

.يشمر السادة عن اظلافهم ويأكلون

لحمهما الحي وحين يشبعون

يطوح العار بهم إلى القيعان

...

ما سكروا خمرا فنحن روح الخمر

بالخفة والإمعان

ولا استضاءوا قبسا

نحن على موائد الحزانى شمعتان

بفازة الزهر وفي قوارير المساكين نعطر المكان

نحن إذن تل من الخضرة والأحضان

وعالمان

انعقدا طاقة ورد

ما يهمنا إذا تشمم الجيران

أنا وأنت الصيحة الأولى

فما علينا لو تردد الصدى

وانهارت الجدران

سيدتي أنا وأنت المهرجان

مفتتح العيد وأول الربيع

فليدخل الرائح والغادي ويفرح الجميع

واحة

ظل هذا القمر العابث

طول الليل يستغوي الحقولا

ناثرا فضته الزرقاء

ممدودا بإبريق رخام

ظل حتى احتقن السمسم بالحب ونام.

لا تقولي واحة الأجداد

والنخل

وإبريق الرخام

كلهم ماتوا من العشق

على ساحة عرس جلدوا

رشوا لك الساحة لونا ودما

وأنا؟ أي سوط يستطيع

أي تمساح عتيق

أي صحراء وما زحف الرمال

إن أجدادي يموتون غراما وطرب

وضعوا الساعد في الساعد فالرمل انسحب

والنخيل انبثقت بين الجراح الصادحة

يا عبير الأضرحة

كيف جاوزت المسافات إليا

والمدى ما بيننا منطرح والعهد طال

وبأي الأجنحة

دف أجدادي عليا
و همو بعد تناء وسؤال
ولماذا أيها الأجداد
حتى هذه الساعة حولي تسهرون.؟

أيها الأجداد عودوا
ولنقل أنا تسامرنا طوال البارحة
بينما تنتثر الفضة في السهل
وملء الأضرحة.

الشعر والحبال

لوركا أخي
كان يحدث الأحباب
لا يقتل الشاعر في إسبانيا
وإنما يعفى ويستتاب
والآن هاهو المغني
ضارب القيثار
محرك العرائس اللطيفات
بما يشد من شعر ومن حبال
ها هو خلف زيتونته
والشمس والثرى المنهال
والحرس الطائف باليوم
وبالأمس وبالحبال
لا زال سيد الأرض
ولا زال من المحال
أن يصمت الشعر
أمام الفأس والحبال.

زنزباريات

بح لي بسرك العميق

أنا أناجيك طوال الليل

يا جزيرة الروعة

قبل أن يدركنا الخليج

وقبل أن يدركنا الصبح فتستفيق

عم صباحا أيها الأصفى من الصفاء

يا قطرات المطر الليلي

يا حلو ويا رفيق

ماذا أسميك

وأنت يا فوق تطاول المسعى

وفوق قبضة الأسماء

ماذا أقول فيك والمساء

يبسط فوقك الجناح أحلاما وينثر الدعاء

على مراقيك

وأنت أجمل الأشياء

يا جسمها النائم يا جزيرة الدعوة والدعاء

في المرة الأولى وبين الفجر والصباح

تدلت الورود كالمظليين والتفاح

ُدحرج ملء الساح والحجر

على الشبابيك تعلق المطر

(المطر الليلي ذو الروعة والذي احبه)

محتقنا بالشمس والخجل

ثم تسلق النهار

ربوتنا والدار

خذنا إذن لزنزبار

حيث يظلل البهار

مراقد المحبين وحيث تنتشي

برغوة البحر وبالعنف وبالأشجار

الجذوة الأولى.

خذنا إلى الرغوة والعقيق

حيث يغرد البحر ويسكر الخليج

وحيث تستفيق

تحت غلائل السحب

المعباة بأنعم الرحيق

إفريقيا الأولي.

أيتها العواميد من النعومة السمراء

أيتها الحقول المرضعة

أي القوافي،أيما مشيئة مروعة

تخرج من أثدائكن يا نساء

أفريقيا السوداء

يا أمهاتي يا حبيباتي وأيما شتاء

لم نطلب الدفء على صدوركن

سيدتي كنت تحدثت مع الربان

قبل ساعة

وقال لي سننتظر
موعدنا منتصف الليل،
وراء منحنى البحر
وخلف الصخرة البيضاء
خارج المرفأ والفنار
وبعد ليلين (إذا أسعفنا الريح) من الإبحار
نرسو على شاطئ زنزبار

بساعة الإبحار
نحن افتقدناك
واجهد الفنار
فما وجدناك
وحينما استدار مركبنا وسار
قمنا بكينا حلمنا المنهار
وما بكيناك

في الغضب الشتائي
بكل ما فيه من القسوة والأمطار
السقف ما انهار ولا تحطم الجدار
نحن تحطمنا
ولا زال لدى المطار
ندى دموعي مزهرا ولا أزال
أسحب مقلوبا وراء موجة تبحر في الخيال

كان يحبني

كان حبيبي شهقة ورنة الوتر
كان حبيبي أعذب البشر
ثم اختفى
كان حبيبا تافها
يرحمه الله
إنا بكيناه
وكنا مذنبين.

حين مضى أدركني الموت
وكنت في المقهى سيجارتي تشتعل
وكان كأسي آخذا طريقه إلى فمي
وحين غسلوني واقفلوا عيوني
تهاوت الذكرى فأدركت،
أن حبيبي كان في دمي
وأنني نزفت حتى الموت.

كان يحبني
ويشهد الله،
كم كنت أهواه.

شيخوخة

عد لي

واحجب عني الرؤيا

قبح الدنيا

يتبدى لي

قبحي:

أن أحيا

أن أتوكأ ظلي

أن ،أعنى

أن تدفعني أكتاف الناس

على وسخ الدنيا

كلا

كنا قدرنا أن العمر يطول

وان شبابينا مفتاح

..

شخنا

اتعس منا

الواحد منا.

إهانات شخصية لابن الملوح

على ليلى يطول أساك
منتعلا وسامة قلبك الشاعر
ومطرودا أمام الريح
محتملا جراحات الهوى الخاسر
وممدودا على سجادة التاريخ
مائدة لكل حزين

على ليلى تجرجر في الدواوين العتيقة
حزنك الشحاذ
تنشر راية العجز الذليل
عن المنى والأخذ والإنجاز
وتفتح صدرك الدامي لأجيال المحبين اليتامى
في شعاب الأرض
بأسماء الهوى العذري
تطعمهم تعازيك العفيفة عن
أحابيل الزمان وعن قصور اليد
وعن ذل السؤال وعن هوان الصد
وعن طول الجوى والوجد
لو صد الحبيب وضن

لأنك عند باب الرعب أحنيت الجبين رضى
قبلت شهادة الكتب القديمة والرواة الخائنين

عن الهوى والفن

ونمت على وسائدهم قرير العين محتقبا

غثاثة مجدك المخدوع

..

..

لأنك باسم إرضاء القبيل وسطوة الآخر

تركت هواك للأعداء

ولم تصمد هشاشة عظمك العذري للقتلة

(وإن صمدت لهول الموت

في الصحراء)

لماذا والخيول تصاهلت

شوقا إلى التسواح

وسيف شبابك الضاري

سنين الحد

وألف مثابة للهاربين

على معاقل نجد

لماذا لم تعشش كالنسور مع هواك

على تعاظم نفرة وجماح؟

ولم تأخذ حياتك

من فخاخ الناهشين

ومن يد السفاح؟

نهار الأمس ودعني الحبيب

وراح

وباسم التضحيات الزائفات

مضى

وخلفني لزحف الشمس

والأشباح

وباسمك أيها الوغد الزنيم

مضى قرير العين

مزهوا

بأكفان الرضاء العام

أهينك، ها أنا عبر القرون أهين حلمك

بالخلود العذب

أهين نذالة الكسب الذليل

على حساب القلب

أهين جميع من باعوا الشباب

وفرطوا في الحب

ومن خفضوا الرؤوس وطأطأوا الهامات

واعتذروا عن الأيام

..

أهين لك الرضاء العام.

أصيح للخرطوم في أذنها

منذ اللقاء الأول

غرزت في لفات شعرها المهدل

أصابعي وقلت: أنت لي

عشيقة وأم

وحين فاتني الصبا

أسميتها بوهيميا المهذبة

وأصبحت تبوح لي

بسر عينيها الكبيرتين

تكشف نهديها وساقيها الصبيتين

أمام عينيا

سيدتي هأنا ذا أريح رأسي

فوق فخذيك القويتين

اخلع نعلي لكي أنام

اركز بندقيتي لكي أنام

اغمض جفني-معا- لكي أنام

فلتطعميني لحمك الطيب

في الأحلام

ولتمنحيني عفة الفكر

(وليس عفة الكلام)

ولتحرسيني من عواء الباعة المحومين

واللصوص.

صغيرة لا تملا الكف

ولكن متعبة

ريفية ما نصل الخضاب

من أقدامها المدببة

خائنة وطيبة

ومثل عاهرات الريف

لا تبسط كفا للثمن

تتركه يندس في الصدر

وتحت المرتبة.

..

..

الله للشاعر والمفلس والصعلوك

حينما تضمهم دروبها

في آخر الليل مشردين

تعبس في وجوههم مآذن الله

ومهرجان الكذب المثقل بالنيون

تصيح أبواب البنوك:

- اقبضوا عليهم

تصيح أبواب الحوانيت:

- إلى الوراء

وتركل العمارات البديعة الرواء

ضلوع أحبابي المشردين.

..

وفي العشيات

وإذ أسير دون أصدقاء

تخرج لى لسانها الطوابق العليا

ويرقص البناء

كيدا وسخرية

..

حدثني الكهان والمخنثون

أن وراء صمتك الحرون

تغرغر الأنهار موسيقى وتنبع العيون

وان عالما من الروعة

لا تدركه الظنون

تخبأه أعماقك النذلة للمقربين

للتافهين من عشاقك المقربين

..

..

تحدثوا حتى أثاروا حسدي

وتعلمين أنني وراء لحظة من النعمة

عند جسدي

أبيع للمضاربين

مسبحتي وولدي

ماذا تخبئين لي

خلف السدوف المطبقة

وبعد هذه اللفحة

من سمائك المحترقة

ماذا تخبئين لي

وما الذي تخبئين عني؟

بعض الرحيق أنا والبرتقالة أنت

الطبعة الأولى: الخرطوم 1972
الطبعة الثانية:الخرطوم 1983
الطبعة الثالثة :الخرطوم 1995

الرحيل إلى طفلة المدائن

في جميع المطارات
بين الحقائب والنوم والانتظار
عبر تلك الدهاليز والميكرفونات
عبر وجوه المضيفات
يأخذننا من مطار
ويتركننا في مطار

في المدى بين ثانية تستطير
لثانية تستطار
كان قلبي يذكرني
أننا منك ندنو ،وتدنين منا
مع كل ثانية تستطار.
كان قلبي يذكرني أن بعض المسافة
بيني وبينك ُيلغى
وأن مساحات من زمن الوجد
تسقط خارجة من شقوق النهار،
وأن المواعيد بيني وعينيك
تزداد قربا
فازداد حبا
واحتمل الانتظار.

في الدهاليز ناديت، باسمك

ناديت عينيك

ناديت ثغرك

فانفرج الباب،

والنوء أجفل من طرقات المطار

..

في الممرات أبصرت، وجهك

من هالة الشعر يطلع،

كالبدرِ

متشحا بالهوى والوقار.

ثم رحت أناغيك

بين أزيز المحرك والطائرة

فتخيلت أن أصابع كفيك

تدخل شعري بخفتها الآسرة

ثم تخرج والنوم مستيقظ

والمصابيح تغمد أسيافها الباترة

..

ثم فكرت،

للمرة الألف فكرت

من بعد أن نصل القاهرة

لا يعود سوى ساعتين من الوجد

ألقاك بعدهما في المطار.

هل أقبل كفيك

أم أتمرغ في رمل نهديك

أم أكتفي بالتحية والانبهار؟

هل أعانق فيك رجال الجوازات

أخبرهم أنني

منذ أعوام

لم أتنفس بعض هواء الوطن

ولم أر أنجمه

أو يظللني غيمه المحتقن

وأني حلمت بخضرة ألوانهم

في جميع المطارات

بين الحقائب والنوم والانتظار

أم أخلي لتلك العيون المدربة العارفة

أن تخمن أسباب عودتنا للوطن؟

ساعتان وننزل أرض المطار

ساعتان من الموت

والبعث والانهيار

ساعتان من البطء يمكن وضعهما في إطار

.قطرة ..قطرة تنزل الثانية

بعد أن تتجمع من فجوات التمهل والانتظار

..

والدقائق بعد التلكؤ

تسحب أقدامها الرطبة العارية

مثل راقصة تستطيب هتاف الجماهير

تبرز بعد نزول الستار

وبعد ستار الستار.

يا دقائق مبطئة

يا ثوان وساعات

يا دهر من لوعة واحتضار.

أسرعوا بالمسير

وخلوا جناحا من الريح

يطوي جناحيه في عتبات الوطن

إننا نتمزق شوقا لعينيه

طيلة هذا العذاب/ الزمن

ولنا فيه أسبابنا الظاهرة.

طول ليلتنا في أزيز المحرك والطائرة

كان محياك يبدو لعيني

فيختلج النوم بين الحقائب والانتظار

و ُيفتح باب من الوصل

كالجذب عند صغار الدراويش

وكالتواجد عند الكبار،

فأبصر أشجارك الجاثمة

وأسمع أنفاسك النائمة

ولغو الأحباء في كل دار.

وأشعر أن يدي تغوصان

بين جدائلك المرسلة

وعيني تمتلئان

بألوانك المستهيجة والذابلة

ثم أرجع ألقاك واقفة في المطار

طفلة في المدائن سيدة في القرى

يغضب الصيف فيها

وتجلدها الشمس كالزاجرة

ثم تأتي الأماسي، ساعية بالنسيم الخفيف

تطيب خاطرها

وتنفض عن وجنتيها الغبار

منذ أن بدأ الريح رحلته لم أنم

نام صاحبنا الأجنبي

ونام التلامذة العائدون لأرض الوطن

نام طفل مشلخة

كان في البدء يحجل بين المقاعد

والحب..والانتهار.

واستباح الكرى

سرب محتنيات تبضعن من كل شيء،

ثم رفرف مثل الفراشات

حول المصابيح

حول الكؤوس الفوارغ

وانعقد النوم طوقا من الجلنار.

...

كل هذي القلوب النوائم

تحلم في نومها

بالوطن.

كلها تتشرب سمرته الداكنة

وصبوته الساخنة

وتاريخه المحتقن.

كلها تتذرع بالنوم

حتى يهل المطار.

في ضجيج الوصول

تثاءب صاحبنا الأجنبي

وسائل عنها الخرائط قدامه:

من تكون؟

أنهبط فيها لحين؟

وندخلها أم نظل ببهو العبور؟ أيكثر فيها السؤال

وتكثر فيها العيون؟ أم تقدم قهوتها مرة

وتبيع الأناتيك للعابرين؟

وصاحبنا جال جولته في الخرائط قدامه ثم نام

بعد أن أحكم القفل حول الحزام

فهو في لهفة للوصول

إلى بلد آخر

ولليلى سواك.

ثم قام التلامذة العائدون

يشدون أحزمة في الخصور النحيلة

منتظرين مداعبة قاسية

عن مناظرهم في سراويل ضيقة زاهية،

ونساء بحناء في الكف

ينهضن بين الممرات

يحكمن لفة أثوابهن

ويطاردن أطفالهن.

عند ذلك تبدين في الأفق

مرفوعة كاللواء

وممشوقة كالحسام

شدما أنت حسناء

كم أنت مغرية بالتهور والاغتلام.

تطلين من خلل السحب

ضاحكة للسماء بمليونِ عين

تطلين في الليل

في شفة النيل،

بين الثريات،

تحت شعاع القمر.

تطلين والشرقُ أحمرُ

والطير تهجر أعشاشها

في الشجر.

وسرب محبين يهبط نحوك
بين التضرج والاحتدام.

تطلين كالطفل
يسبل جفنيه في نصف إغماضة
وينام
وكالطفل بين المدائن
يرفعك النيل ما بين كفين حانيتين
وكالطفل بين المدائن
رحت تلوحين
قدام عينين بالدمع مغرورقين.

قل لتلك العيون المليئة بالوجد
تنتظر القادمين،
إن هذا المطار
المخبأ في قلب أفريقيا
من جميع المطارات
يعرفني جيدا.
..
من جميع المطارات يؤلمني البعد عنه
ويسكرني المشي فيه
إلى صالة القادمين
وعبر رجال الجوازات
نحو أحباء مستقبلين
وعبر ذهول الوصول

لخرطوم تنهض من نومها..تستفيق

أحس بأن العيون الكبيرة

سوف تزاحمنا من جميع النواحي

وتأخذنا في الطريق.

وأن إسارا من الحب

يبدأ

من حيث لم ينتهِ.

بعض الرحيق أنا والبرتقالة أنت

الله يا خلاسية
يا حانة مفروشة بالرمل
يا مكحولة العينين
يا مجدولة من شعر أغنية
يا وردة باللون مسقية
بعض الرحيق أنا
والبرتقالة أنت
يا مملوءة الساقين أطفالا خلاسيين
يا بعض عربية
وبعض زنجية
وبعض أقوالي أمام الله.

من اشتراك اشترى فوح القرنفل
من أنفاس أمسية،
أو السواحل من خصر الجزيرة
أو خصر الجزيرةِ
من موج المحيطِ
وأحضانِ الصباحية.
من اشتراك اشترى
للجرح غمدا وللأحزان مرثية،
من اشتراك اشترى مني ومنك
تواريخ البكاء وأجيال العبودية

من اشتراك اشتراني يا خلاسية
فهل أنا بائع وجهي وأقوالي أمام الله؟

فليسألوا عنك أفواف النخيل رأت
رملا كرملك مغسولا ومسقيا؟
وليسألوا عنك أحضان الخليج متى
ببعض حسنك
أغرى الحلم حورية.
وليسألوا عنك أفواج الغزاة رأت
نطحا كنطحك والأيام مهدية؟
ليسألوا
فستروى كل قمرية
شيئا من الشعر
عن نهديك في الأسحار
وليسألوا فيقول السيف والأسفار.

يا برتقالة
قالوا يشربونك
حتى لا يعود بأحشاء الدنان رحيق
ويهتكون الحمى
حتى تقوم لأنواع الفواحش سوق.
والآن راحوا
فظل الدن والإبريق
ظلت دواليك تعطي
والكؤوس تدار،

..

هزي إليك بجذع النبع

واغتسلي

من حزن ماضيك

في الرؤيا وفي الإصرار

هزي إليك

بأبراج القلاع تفيق

..

النحل طاف المراعي

وأهداك السلام رحيق

الشرق، أحمر،

والنعمى عليك إزار

نجري ويمشون للخلف

حتى نكمل المشوار.

طاف الكرى بعيون العاشقيك

فعادوا منك بالأحلام

ما للعراجين تطواح

وليس لأطيار الخليج بغام

النبع أغفى

وكل الكائنات نيام

إلا أنا

والشذى

ورماح الحارسيك قيام.

..
متى تجاوزتهم وثبا إليك أجيء
شعري بليل وحضني بالورود مليء

فلتتركي الباب مفتوحا
وحظي في الفراش دفيء
ولتلبسي لي
غلالات الشذى
وغناء النبع
والأشجار
فلي حديث طويل
مع نهديك
في الأسحار.

يا برتقالة
ساعات اللقاء قصار.
تأمليني قليلا فالصباح أطل
البحر ساج
وتحفاف النخيل غزل
وبركة القصر بالنيلوفر ازدحمت
والنحل أشبع كاسات الزهور ،قبل
وإنني الآن
أزهى ما أكون
وأصبى من صباي

ومكسيا من النور الجديد
إزار.

تأمليني فان الجزر أوشك
- إني ذاهب-
ومع المد الجديد سآتي
هل عرفتيني؟
..
في الريح والموج،
في النوء القوي
وفي موتي وبعثي سآتي
فقولي قد عرفتيني
وقد نقشت تقاطيعي وتكويني
في الصخر والرمل ما بين النراجين
وإنني صرت في لوح الهوى تذكار

والآن
لا شابعا من طيب لحمك
أو ريان من سكب نهديك أمضي
عديني أن ستدعوني
إلى فراشك ليلا آخر
وتطيليه على بشعرك في زندي
ولونك
في لوني وتكويني

فنيت فيك فضميني
إلى قبور الزهور الاستوائية
إلى البكاء وأجيال العبودية
ضمي رفاتي وخلِ النسغ يحملني
عبر الجزيرة في دوراته الحية
..
ضمي رفاتي ولفيني بزندك
ما أحلى عبيرك
ما أقواك
عارية وزنجية
وبعض عربية
وبعض أقوالي أمام الله.

فرح في حديقة شوك قديم

حين أغفت عيون البنادق والموت نام
نهض العشب بين الخنادق
والزهر قام
زهرة للهوى
زهرة للجنوب
زهرة للشمال الحبيب
زهرة للتقدم والتنمية

زهرة زهرة يسقط الثأر ما بيننا
والمتاريس
والتعبية
يسقط الزمن المتشرب بالخوف
والدم
واللاجئين
من حساباتنا تسقط الحرب
تحملها الأودية
فإذا فرح في حديقة شوك قديم
طازجا كالجواري
ومقتحما كالنسيم

فرح للهوى
فرح للجنوب

فرح للشمال الحبيب
فرح من دماء المساكين ،يصنع
بالصلح والتسوية
فرح طيب
في حديقة شوك قديم

تضع الحرب أوزارها
والبيارق بيضاء... بيضاء
تخرج من شرفات المآذن
المعدات ترجع هادئة للمخازن
والجنود يكفون عن قصص القتل
والذبح والاغتصاب.
لا قصائد عن زمن الحرب
تروي سجل البطولة
أو تستعيد سجل الفظاعات
أو تتوجهنا بالعتاب
لا أهازيج للنصر أو حسرة للهزيمة
أو مرحبا للقتال.

هاهنا خجل نادم في ضمير الشمال
ومغفرة في الجنوب.
خجل كاللآلي،
كالدمع،كالصحو
كيف ذبحتم وكيف ذبحنا

ونحن بنو وطن واحد
بل وأبناء خال.
خجلا للهوى
خجلا للتقدم والتنمية
للحروب التي تطحن الناس بالبوصلة.

كيف تنتفض الحرب ما بيننا
في صبيحة حرية وانعتاق
حين أحلامنا بعد جذلى
وموعودة بالتوهج والائتلاق
والسماوات مفتوحة للمساكين والثائرين.
..
كيف نمرض بالحرب طيلة تلك السنين؟
كيف لم تنطفي
قبل أن تمتطي صهوة الريح غانا
ويسمع صوت المعلم في زنزبار،
وعلى حين راح العراق يؤمم بتروله
والجزائر تجمع قبضتها الدامية
ثم تهوي بها في رؤوس العساكر
والمستوطنين

كيف نمرض بالحرب
حين الصواريخ تخرج ذاهبة للقمر؟
والكواكب تفضح أسرارها للبشر
والعصابات تعبث بالأمم النامية؟

كيف نمرض بالحرب في زمن العلم والتقنية؟
كيف نهدم في حين يبنون
نمشي إلى الخلف في حين
يعدون عدوا
نذبح بعضا وهم يضحكون:
ضحكة للهوى
ضحكة للتقدم والتنمية
ضحكة للنكات الكبيرة:
وحدة أفريقيا

حيث لا ينبت العشب
كانت تقوم القرى
والمدارس والمنشآت
كان أطفالها يلعبون
وأبقارها تستعيد طفولتها في المطر
كان سرب نساء عرايا حليقات
يخرج للنهر
أو يرتمي في الغدر
ثم يهطل حول " النقاقير" في الأمسيات
..في زمان السكاكين
أجفل سرب النساء العرايا
وعسكر في اللاجئين.

استعاد الخلاء وديعته من مزارعنا

والمدارس أصبح نعرفها بالطباشير
منتثرا بين أنقاضها المعتمة
وقع السيف ما بيننا
فغدونا عدوا بوجه عدو
فقدنا براءتنا
واستطاعتنا أن نفكر بالآخرين.

أينا يتحمل وزر الضحايا
ويأخذ في بيته اللاجئين:
لاجيء للسنين المضاعة في كينيا
لاجيء للإخاء المدمى
على كف هابيل في الأولين

إننا الآن حيث ابتدأنا
فلم تنسخ الحرب أنسابنا
أو تعلمنا لغة ثانية.
لا تزال المقاهي محملة بالرجال الكسالى
يموتون بالوجد فوق مقاعدها الخالية
وفي الليل تسمع نفس النوادر
تؤخذ نفس البغايا
على السرر القانية
...
لماذا إذن كانت الحرب
طيلة تلك السنين
وماذا كسبنا
(سوى اللاجئين)

ستخبرك الحرب أن لنا وطنا واحدا
واشتريناه بالدم والدمع والزلزلة
والاخاء الذي نتحدث عنه
كثيرا
صنعناه في ساحة الحرب
بين أعاصيرها الهائلة
والرضاء بأن نتعايش في وطن واحد
جاء من فتحات البنادق
والطعنة القاتلة

عند ذلك أدركنا من خصال المحارب
إعجابه بالبطولة في الجبهة الثانية
وتوقعه للشهامة في الجبهة الثانية
وتشوقه للتعرف بالجبهة الثانية
فاذا بعيون البنادق تغفو
وينتفض العشب بين الحصون

هكذا تضع الحرب أوزارها
بين شجعان مقتتلين
هكذا ُيفتح الباب للاجئين
فإذا وطن واحد
من ظلام الخرائب يخرج كالموجة العاتية

من دخان البنادق يستل أذرعه القانية

وعلى شاطئ النيل يولد شعب جديد.

وطن للهوى

وطن للتقدم والتنمية

وطن بسماوات مفتوحة للصعود

وطن بدراويش من طينة النار

ينتظرون وراء الحدود.

وطن للهوى

للتقدم والتنمية.

كذلك نفتح للحزن

حين صارت بأذنيك كل القصائد قطنا

وصار السكوت عبادة

قلت للأفق اسرج خيولي

وللريح كن لي وسادة

ومن يومها والمشاوير بيني وعينيك

تزداد نأيا وبعدا

وشوقي لعينيك يخبو

رويدا.. .. رويدا

ونزداد ما بين ذلك قبحا وصمتا

ونشبع موتا.

هو الله

قل لا اله سوى الله والموت حق

وشوقي لعينيك حق

وكوني أضعتك

بين الأباطيل أكثرها خسة ونزق

لكوني فقدتك في غمرة من ذهول

وفي شبق مستحيل

وفي غضب مسترق

وأني جحدت بذلك آلاء ربي

فحولنا فتلة في الرياح

وثرثرة في الصخب.

يعلمنا الجرح

ان الذي فات لا يستعاد

وان الرماد

-وان كان ذرية النار-

ينجب ذرية للرماد

وان الحداد

هو الزمن المنقضي

بين ميلاد حزن وموت حداد،

وان الكهولة في القلب

كالريح في العشب

لا أحد يبصر الريح

لا أحد يمنع العشب ان يتماوج فيها.

ويكذبنا الحزن

حين يعلمنا ان خير الليالي

مضت دون ان يطلع الفجر فيها

وان الأماني إذ نشتهيها

تعلقنا من سراويلنا في الهواء

وأن اللواتي تولين عنا

وضيعننا

كن خير النساء

وان الحياة

سلو عن الموت

تعزية عن عزاء.

كذلك نفتح للحزن أبوابنا

حين يطرقنا طارق من خجل

ونوصدها في وجوه الحقائق

صائحة في الشوارع

مرفوعة في صياصي الجبل

كذلك أنسى وتنسين

ان الأناشيد صارت بأذنيك قطنا

وان القصائد أصبحن حبرا وماء

وانك أصبحت شيئا من الصخر

عند الوداع الأخير

فكان بلا قبلة وبلا أمل في اللقاء.

مع الزمن المتحرك يكتهل الحزن

يصبح حزنا عجوزا

وتذهب أزهاره للفناء

ونصبح بين الحزانى عجوزين

حزنهما بارد الدمع

مستنفد العبرات.

مع الزمن المتحرك

نشفي من الوجد والدمع والذكريات

ونعرف طعما جديدا

وناسا جديدين

نعرف حبا من النار يشعلنا بالحياة.

مع الزمن المتحرك

تغدين ذكرى

بلا لون او طعم

تغدين حبرا وقطنا وماء.

قصيدة حب مسببة

من جميع الحدائق أختار وجهك

من جميع الحقائق أختار حبك

من جميع النساء،

أتوج فوديك بالحب والاشتهاء

لأنك كل العيون التي عذبتني

وكل الشفاه التي أخذت من شبابي

وكل النساء اللواتي بكيت بأبوابهن.

لأنكِ ما اختاره الله لي

من جميع العيونِ الجميلةِ

لما رأى أنني بالعيون الجميلةِ

أجتاز، باب السماءِ.

لأنكِ-

بعد العيون التي عذبتني

وبعد الشفاه التي أخذت

من شبابي-

مسحتِ دموعي وأسرجتِ قلبي

وأصبحت عندي

بداية كل ابتداء

وغاية كل انتهاء.

لان خطاك النسيم

وعيناك نبع جمال وطيبة

وأنت الجمال

وأجمل ما في الجمال

وأعذب ما في العذوبة.

وأبعد من خطرات الخيال

وأقرب من دعوة مستجيبة.

..

لذا رحت أهواك

حتى تئن ضلوعي من الحب

حتى يغالبني الدمع فيك

وأذهب في نهنهات البكاء.

وأهواك فوق الهوى والعبادة

يا توأم الروح

لا شبع منك ألقى

ولا ظافرا بارتواء

لما أنت أعطيتني العمر عمرين

والصبوة المستهيجة دهرا

وتوجتني بالوفا والحياء

وأجلستني في عروش نمارقها لجة

- أو كما لجة-

يتدافع بلورها في انتشاء

لذا رحت، أهواك

أنظم فيك القصائد

حتى تقولين : ‘كف

نـهودي أفاقت

وخصلات شعري تقِـف

وأخبرهم أن كل القصائد من

وحي عينيك

والشعر فيك

وأن جميع المحالات

أسهل من أن أحاولها في هواك.

مزرعة في الجبل

قبل أن تولدي
وتصيرين مزرعة في الجبل
كنت مأوى الثعالب
هاربة من كلاب السفوح
ومأوى العصافير
تجدل أعشاشها في الشجر
كان ماء السماء
يرطب خديك عاما بعام
ويبسط شال المراعي
على منكبيك.

وفي الصيف كانوا يجيئون
يحتطبونك
والموت يسعى إليك
بينما أنت صامدة كالعقيدة
بالشمس والريح تجلد
الحجارة من فوق نهديك
تحمى وتبرد
دون أن تفلتي آهة
أو تفوهين كفرا
كان ذلك من قبل أن نلتقي
وتصيرين أما وحقلا.

قبل أن يرحل الصيف

صففت شعرك

والصخر دحرجت عن منكبيك

ثم أعليت حولك سورا

وأنهضت سدا

وألقيت في الارض بئرا

وأعددت للزرع مهدا

وأجريت فيك الجداول طولا وعرضا

وهيأت متكأ للمقيل،

كل ذلك والشمس واقفة في عمود السماء

وسائلة في الحجر

والرياح تحدد أظفارها

ثم تضرب وجه الجبل

والسماء الكبيرة فارغة

والخريف بعيد.

ذلك الصيف أقسمت:

لن يسلبوا شعرة

من جدائلك المرسلة

لو يجيئون في الفجر يلقونني

وإذا استتروا بالظلام

وجدوا السور حولك والبسملة.

رأى السهل

أنك مجلوة للزفاف

فأدرك أنك موعودة للمطر

وأنك أصبحت محسودة

من بنات السفوح

ومحسودة من بنات الجبل

..

وفي الدغل راحوا يقولون

إن العصافير تجمع أثواب عرسك

من كل فج عميق

وتنقش حناء كفيك

بالورد والسنبلة.

ويروون أن الغمائم

صارت تظللنا طيلة الوقت

من غضب الصيف والقائلة

وفي الليل تزجي إليك الندى

بمظلات وردية اللون

يهبط فوق مدارج نهديك

أو يتناثر

فوق حزام القمر

عند ذلك يدخلني وعي أنك عذراء

تتكئين

على مخمل الرمل

في المنحدر

وأنك أم لأطفال حبي

ومزرعتي في الجبل.
فأوقن أنك لو نزل الغيث
واكتست الأرض
بالخضرة الزائفة
ستبدين مثقلة بالثمر
وبالشجر السيد المنتظر
وتغدين روضا
من الزهر والفاكهة.

وفي الصيف
حين تجف النواحي
وترتجف الأرض كالخائفة
تظلين خضراء
حسناء
مثقلة بالثمر
تظلين مزرعتي في الجبل.

يختبئ البستان في الوردة

نشرت عام 1988

كيف ترتحل، الآن؟

لا تزال، العذوبة، كائنة حيث كنت –
العذوبة، والدمع، والشاعرية..
من جمالِ حياتك يتخذ الورد، زينته
والمواسم، حناءها

العصافير، تترك، توقيعها في رمالك
والكرم، تسكب، صهباءها
والزمان، الفقير ببهجةِ روحك عاد أنيسا
وفاضت به الأريحية.

..

من جمالك في الموت نأخذ، درسا بليغا
عن الموتِ تحت حريرِ القوافي.
(كان شعرك عن هاجس الموت
حبا رضيا
وتوقا
إلى عودة للمرافي)

في مبارزةِ الموت والشعرِ
سجلت آخر أهجية للزمانِ العليلِ
وآخر مرثية للوطن،
وأنبل ما في كتاب المدائح
للفقر والشعر
والكلماتِ النبية.

..

العنادل، تسكن حنجرة الشيخِ
والفقراء، استظلوا بأحنائه الشاعرية.
جعل القلب تعريشة
فأفاء المساكين، للظلِ
والطير، للحب
والشعراء، إلى سيدِ الشعراء.

لا تزال، الموائد، مثقلة بأفاويقِ شعرك
والحان، يرقص،،
فالزمر والطبل، بعض قوافيك
والكحل في الأعين النجل
بعض هداياك
والعشب في شفةِ النيلِ
بعض صنيعك-
طبت صنيعا
وطابت بمحياك أرض الوطن.

أظلمت بوابة الشعر
وأبواب الفراديس أضأن.

لا تزال العذوبة كائنة حيث كنت-
العذوبة والدمع والشاعرية.
الحدائق، واجمة لرحيلك
قد بلل الدمع، أثوابها..
المقاهي تودع أحبابها
والقصائد - محلولة الشعر،كاشفة النحر-
تخرج، نائحة في الطريق.

كيف ترتحل، الآن.
إن المتاريس منصوبة
والعدى حضر
وجنود من الشعر يأتون صوبك
من كل فج عميق..

كيف ترتحل الآن
عن وطنِ اليأسِ والشعر؟
نحتاجك الآن أكثر مما مضى.

من سواك ليفرط رمانة القلبِ حزنا
لأجل الصبايا
تجرجر أسمالها،

والولايا تنوء بأحمالها،
والصغار يعودون من مولد عامر
بالغبار؟

من سواك يقود الخوارج في غزوة
لثغور العدى
يستعيد بها الوطن المتخثر
بعض رجولته الضائعة؟

المجاذيب، أهلوا قمرا
بعد قمر
ووليا سيدا بعد ولي
وأحاطوا مرقد الشاعر باستغفارهم
فمضى الشاعر،
في النوم الهني السرمدي

لقنوه ساعة الهولِ تقاليد الرحيل المسلمة
،نزلا في ساحة الفردوس
ثم اختطموا
هودج الموت
وقادوه إلى أرض الوطن.
أظلمت بوابة الشعر
وأبواب الفراديس أضأن.

برحيلك ينفصل، الجمر، عن صندلِ الشعرِ،

يقترب، الموت،

،يسمع صوت، الكهولةِ في الربع

تفتقد الابجدية، اظفارها،

تستعيد السماء، وديعتها(لؤلؤ الشعر)

من عالم كافر بالسماء وأشعارها.

تستعيد السماء طفولتها

وتعود إليك طفولتك الذاهبة.

وها أنت تجلس بين المجاذيب بدرا

ونجلس بعدك في القيد-

بعض سبايا

وأسرى

ونزداد فقرا

وكفرا.

تحييك عني أم الكتاب

وياسين،

والشعراء.

يحييك غفران، ربك

في جنة الخلد، دارِ البقاء.

سلاما وقولا رحيما

وطلحا نضيدا

وفاكهة لا انقطاع لها أو فناء

وآخر دعواي فيك أن الحمد لله

أسلمت أمري

ولله ارجع في الراجعين.

1983

في رحيل الشاعر محمد المهدي المجذوب

أمير الشعر السوداني

الريال

عن عبير المياه وأطواقها نتحدث‘
شيئا قليلا،
المياه الصغيرة‘
ذات الضفائر والحللِ الصادحة،
المياه التي تتحدر طازجة من ثقوب المراثي
وتطفر ساخنة من عيون المحبين
والعاشقات.

إنني أتحدث عن دمعة واحدة
عن امرأة في الطريق
بسطت كفها بالريال وقالت:قليل
لا أريد نقودا- أريد احتراما وتذكرة للبلد
ثم ألقت أمامي بدمعتها الواحدة.

دمعة كالرصاصة تسبق تغضينة الوجه
تسبق طيف البكاء.
دمعة كالمظلي يفتح كلته فجأة في السماء.

سقط الدمع فوق الرصيف وبلل وجه الحجر
كانت الشمس غاضبة
فرأيت المياه الصغيرة تصرخ من وقدة الحر
وهي تغادر عالمها المندثر.

(رقد الطفل، فوق الرصيف صريعا
وأسرع أهل الشهامة يطلبون رجال المرور).

قيل لي إن باطلها يتلبس وجه الحقيقة بالمسكنة
والدموع المؤاتية المذعنة
والتذرع بالفقر والاضطرار
ومثيلاتها في المدينة
يزحمن وجه المدينة بالحرفة المتقنة
حرفة الدمع والانكسار
وكثير عليها الريال.

وأنا أتحدث عن خطوات المياه وأطواقها.
المياه الصغيرة
ذات الضفائر والحلل الصائحة
أتحدث عن دمعة واحدة
عن امرأة في الطريق
بسطت كفها بالريال وقالت قليل
لا أريد نقودا،
أريد احتراما
وابحث في وجهك العربي الملامح
عن أثر للشهامة.
ثم ألقت أمامي ريالا
وراحت بدمعتها الواحدة.

وداعية

ألف شكر لك يا ذات الجبين المترعة

كان وقتا رائعا

لا بكائيات

يكفي أن قضيناه معا

وملأناه وعشناه

وعدنا فملأناه

إلى أن فرقعا.

ألف شكر لك أن أعطيتني بالعمر عمرين

وبالحب حياة فارعة

ولما أهديتني من حزم الورد نديا طالعا

ولما أسرجت لي من خاطر

كنت "أسعى معه حيث سعى"

ولما وشوشتني من رائع الهمس بما

لم تقل نسمة صيف دامعة

لا بكائيات

بالحب وبالعرفان

قلبي لك يجثو راكعا

حظنا شاء ولكن كان حظا رائعا

طيبا جاء وحلوا ودعا.

تعويذة

اخرجي من ثرانا
من مدائننا وقرانا
من دفاتر أحوالنا
ومحابر أطفالنا
اخرجي من ربوع البلد
اخرجي أنت مطرودة للابد

اخرجي أيها الكافرة
من شعاب الجبال
من بيوت الحلال
اذهبي أنت والجوع والرعب
والاعتقال
فمتاريسنا الظافرة
لا تزال إلى الآن منصوبة لا تزال
والرجوع محال
إلى زمن الجوع والرعب والاعتقال.

اخرجي يا كآبة يا حزن يا اضطهاد،
اخرجي من مدارسنا
من مجالسنا
من جميع البلاد
واتركي زمن الحب يبدأ
بين جميع العباد

نمسح الآن اسمك من أرضنا

لتهل الزروع ،

من حوائط تاريخنا

من سمانا

ليطلع فيها القمر

قمر الثورة المنتظر.

نمسح الآن اسمك من مفردات الكلام

من حروف اللغة

ليطير اليمام

وتمتلئ الأشرعة،

فاخرجي يا عصور الظلام.

إننا ذاهبون إلى جنة الله في أرضه

إلى الماء والنهر

نحو الحقول الجديدة والمدن الضاحكة.

إلى قبة البرلمان

إلى وطن طالع من عصور الظلام

من زمان المجاعة والرعب

يخرج محتشدا بالمهابة والعنفوان

إننا ذاهبون إلى وطن رائع وزمان جديد.

أبريل 1985

سرب عصافير بيضاء

يتماوج سرب عصافير بيضاء
نحو الشمس الضحيانة
(شمس بلادي)
ذات شتاء
يمضي ويخلفني مكتوفا بالريح
ومكتوبا في الماء
سرب عصافير بيضاء.

فوق المدن المكتهلةِ
فوق مبانيها ومداخنها وتماثيل الأشجار،
فوق الجذب الكوني
وإيقاع الزمن الدوار
يتماوج سرب وجهته وطني
يتماوج عبر سماء فادحة وفضاء محتقن
يتحداني أن انشر اجنحتي
وأطير إلى وطني.

سرب عصافير بيضاء
يتركني
في عتمة روحي، في بدني
بين الناس الغرباء
يمضي ويخلفني في البرد وحيدا ذات شتاء
سرب عصافير بيضاء.

السيف والحدائق

راح وجه الحديقة يصفو

وأوقاتها تتحالى

وكان الندى يتهجد والورد يصحو

وعندلة الذكر من فمها تتعالى

ثم كان الزمان ربيعا

وكان الربيع هلالا

فلماذا قطعتم على الورد خلوته بالصبا

وكيف اقتحمتم على الساجدين الوصالا؟

تدخلون الحديقة بالسيف؟ لا

إن طقس الحديقة يأمركم بالتطهر

قبل الدخول

والتوشح بالنور والحب

قبل المثول

والترفق بالعشب والكائنات الصغيرة

من اجل أن يتعهدكم بالقبول

فلماذا قفلتم على الورد

أبوابها

ومنعتم نسيم الصبا أن يزور؟

ما اعتذارك للعشب يا قاتل العشب

مستهترا بجدارته بالحياة؟

كيف أقدمت والخيل مربوطة

والسيوف بأغمادها

ثقة بالإله؟

والمنادي يناديك:

حي على القدس

يا لفلسطين

وامسجداه

والطريق إليها يطول ويقصر

بالشهداء المصابيح

كل شهيد علامة،

فلماذا تناسيت آلامنا

وتذكرت آثامنا

وتعجلتنا بالقيامة؟

وبماذا ،أحل لسيفك دمع المحبين

من خرجوا للحديقة من كل أهل ودار

والذين استطابوا لأجل الحديقة

طول الأذى والسفار؟

والذين يقولون للموت: قف

بعد زورتنا للحديقة خذنا.

ستقولون باسم الإله الرحيم انتضينا

السيوف

لنعملها في زمان الجهالة

وأسائلكم أين صك الوكالة؟

من أقامك يا حامل السيف ربا على الناس

والله حي

يدبر أمرا

ويمكر مكرا كبيرا(تعالى).

أين نرصد أسماءكم

في كتاب الخنا أم كتاب الطفولة

أين نكتب ما فعلت بالحديقة أسيافكم

عبر لحظة طيش جهولة؟

ربما حين نغدو كبارا

وحين تصير الأمور الكبار مدار اهتماماتنا

والنجوم البعيدة من بين أملاكنا

ربما نتذكركم حينها لحظة

ثم نعرف أنا غدونا كبارا

وأنا دخلنا على العصر من بابه

عنوة واقتدارا.

1400 هـ مكة المكرمة

مدينتك الهدى والنور

مدينتك القباب

ودمعة التقوى ووجه النور

وتسبيح الملائك في ذؤابات النخيل

وفي الحصى المنثور

مدينتك الحقيقة والسلام

على السجوف حمامة

وعلى الربى عصفور.

مدينتك الحديقة يا رسول الله

كل حدائق الدنيا اقل وسامة وحضور.

هنالك للهواء أريجه النبوي

موصولا بأنفاس السماء وكأسها الكافور

هنالك للثرى طيب

بدمع العاشقين ولؤلؤ منثور

هنالك للضحى حجل بأسوار البقيع

وخفة وحبور

هنالك للصلاة رياضها الفيحاء

والقرآن فجريا

تضيء به لهى وصدور.

بساعات الإجابة تحفل الدنيا

وأنهار الدعاء تمور.

سلام الله يا أنحاء يثرب

يا قصيدة حبنا العصماء

سلام الله يا أبوابها

وبيوتها ونخيلها اللفاء.

سلاما يا مآذنها وفوج حمامها البكاء،

ويا جبل الشهادة والبقيع سلام.

على أثل الحجاز وضالها

وعلى خزاماها

تهب قصيدة الصحراء.

إلى تلك البساتين المعرجة الجداول

والقباب الخضر،

يهفو خاطر الدنيا

وتحدى العيس في الصحراء.

مدائح لم تقل لبني الزمان

ترددت عبر القرون

ليثرب الخضراء،

قصائد من رهافة وجدها

شقت جليد الصخر

واجتازت عباب الماء،

قوافل ما انقطعن عن السرى

صلت عليك
وأوجفت عبر القرون
إلى قصيدة حبها العصماء.

ببابك يستجير الخائفون
ويجلس الفقراء.
ببابك تدخل التقوى فتوح الفاتحين
وحكمة الحكماء
وفي نعماء عدلك ترتع الدنيا
وميزان الحساب يقام.

حفاة الرأس والأقدام
ندخل في نبوتك الرحيبة
من الزمن الكئيب وناسه لذنا بنورك
يا سنام المكرمات ووجها البسام
ومن شح النفوس ودائها المودي
لنا بجمالك استعصام.

مدينتك الهدى والنور
وتسبيح الملائك في ذؤابات النخيل
وفي الحصى المنثور

مدينتك الحقيقة والسلام
على السجوف حمامة

وعلى الربى عصفور
مدينتك الحديقة اقرب الدنيا
إلى باب السماء وسقفها المعمور.

لندن 1983

يختبئ البستان في الوردة

تختبئ الصدفة في منعطف الطريق
والعسل البري في الرحيق
وطائر الفينيق في الحريق

يختبئ الحريق في الشرر
يختبئ البستان في الوردة
والغابة في الشجر.

يختبئ الخروج في الأبواب
والعاشق الخائف في الدولاب

في لونها تختبئ الحرباء
وتحت غدة الدمع
ونزوة البكاء
تختبئ المحبوبة الأولى.

تختبئ الطاعة في الجماح
والجد في المزاح
وقطع الصباح
تحت ثياب محبوبي.

يختبئ العنصر في مركباته

والعدد البسيط في مضاعفاته

وفي خرائب الليل تخبئ الأشباح

رؤوسها المعذبة

تحت حدودها الوهمية المجلببة.

تختبئ الشهوة في التحريم

وتوبة التائب في رداء مكرها القديم

وشبح القاتل

من جنازة القتيل.

يختبئ الجني في المصباح

وفي الأصابع المداعبة.

يختبئ الخطيب في أردية الكلام

يختبئ الحجاج في اللثام

والشنفرى في قدميه

والوضاح في صندوقه المغلقا

تحت تراب الحفرة المنطبقة

وسره المذاع.

تختبئ الأشياء في وجودها

والأرض في حدودها

وتسكن المعاني

أسماءها المشجرة.

والسبئية الحسناء

في جمال نومها المبعثرا

تكشف ساقيها الصبيتين

أمام عرشها المنكرا

تخوض في اللجة

نحو عرشها المنكرا.

يختبئ النبي والسلطان في سليمان الحكيم

يختبئ الهدهد من وعيده العظيم

في نبأ من سبأ يقين

محتميا من غضب النبي بالتوحيد

ولائذا من صولة السلطان بالسعاية.

لكل شئ وجهه الآخر

كنتم تعرفون طيلة الوقت

ولم تحدثوني أيها الكهان

تركتموني اركب الأثباجا

واللجج المهتاجة

وأدمن التصديق واللجاجا

والآن فات الوقت، فات

الوقت فات

وأغلقت أبوابها الحانات

والسبئيات ذهبن في النعيم
لم يبق إلا وجهك الكريم
مختبئا في وجهك الآخر.

لا خباء للعامرية

(قصـــيد ة للسودان)

بيت القصيد

لا أسميك و هما

فما في الحقائق أكثر حقا

ورعبا

من الموت تحت السنابكِ،

أنت حقيقية

كالمزابل

حتى يجيء الخريف

ويكنسها بالمطر.

1

جرس، الباب ِ،يقرع، والعامرية، تجمع أثوابها

وتخبئ صهباءها

في الدواليبِ،

والباب، ،يقرع،

يسقطُ عن ظهرها الثوب ُ،

لا تتقيك بعنابها

بل تعود وتلتقط الشال،تأخذ رافعة النهد،

تأخذ جو الأنوثةِ من ،غرف البيتِ.

والباب، يقرع،

،يركل،

،يكسر،

،يهدم..

إن القيامة تقترب الآن والأرض تخرج أثقالها

.. ..

ثم ينقصم الباب،..يذهب،

والعامرية، تذهب،،

أسمع في غرفة الثلج صوت محركها

وصرير إطاراتها،

وأرى يدها لا تلوح لي،

وأناملها لا تكور لي قبلة في الهواء.

..

..

خرجت من ثقوب الجدار

ولكنها لن تعود
فقد وضع الذعر، في وجهها الشمع
والخوف، أفسد في جوفها مضغة الحب والقهقهات.

ذهبت والصباح يداهمنا
والرجال المهمون يندفعون من الباب نحوي،
يقولون شيئا بذيئا
ويبدأ يوم من الخوفِ تحت ضياء جديد.

2

تستفيق البيوت، المعباة، بالناسِ والرملِ
والحشرات الدقيقةِ
والروثِ
من نومها المتوردِ بالحلمِ
والمتخثر تحت قناعتها بالقليل.
تستفيق على طائر الفجر، صوت المؤذنِ،
دبدبة الماعز الحضرية مأسورة في مرابطها
بين أمعاءِ كلب يجوع
وطفل يغرد للفجر
منتشيا بالنداوةِ
والنسمات الأخيرة في الليلِ –

قبل ابتداء العويل.
قبل أن تخرج الشمس، عابسة الوجه،
بالنارِ تجلد وجه المدينةِ،
تغرز وقد أصابعها الهمجية
في الماء والظلِ والسقف والباب
تحشرها من خصاص النوافذ في كل حي.
..
تستفيق المدينة، لائذة بالظلال
ومجروحة الحلقِ تطلب جرعة ماء
وتغمس أطرافها في الحياض.
..

تطلب الماء في الزير والحنفية،
تشرب من ُعلبِ اللبن الفارغة،

أو فوارغ للخمر
مصفوفة في الجدار الأخير لثلاجة البيت
(تبقى هنالك حتى يجئ غلام ويأخذها لتباع ويأكل حلوى
وينكر فعلته وهو ُيجلد كالجارية.)

يطلبون من الجار ماء وثلجا
ويطلبهم برتقالا،
وفي العيد يعطونه كوم لحم وأدعية،
ونساؤهم ُ يتبادلن وصف العلاج الأكيد
لشحتفة الروح
أو وجع القلب
أو رغبة الموت
إذ تتنكر قادمة نحوهم تحت مليون اسم.

إنه الموت والموت حق
ويعرف واحدهم انه هالك وابن هالك- قبل الأوان-
وقبل التحقق من خطوات المياه
ولون الشجر.

تتقصف أعوامهم ، يبدأون الكهولة بعد الفطام.
ينكرون طفولتهم ورغائبهم
ويريدون من فاطر السموات حنانا

وظلا ينامون فيه فتأتي رغائبهم بالتشهي
مذللة طائعة.

إنهم فقراؤك يا رب،
أبناء عالمك الثالث
المتأرجح فوق بحار من النفط والزفت
كالقرعة الطافية.

انهم يستفيقون في الفجرِ
مرتعدين من الخوفِ
يلتقطون سراويلهم ويولون أوجههم شطر بيتك،
تصطك أسنانهم في الشتاء
يذوبون كالشمع في رهج الصيف بين التقى والركوع.

حلم سيئ أم نهار جديد؟
الرجال المهمون ينتشرون على باحة الدار،
يستحكمون على البهوِ،
خلف الرواقِ،
لدى البابِ،
يستعرضون تمارينهم ومهارتهم في العبور.
انهم يوقفون دمي في شراايينه،
يوقفون الزمان الجميل-
الزمان المدحرج ما بين حال المنام

إلى حالة الصحو

رمانة من عقيق.

انهم يمنعون التنفس في رئتي،

يمنعون الحيامن من سبحها،

يمنعون المدينة ان تستفيق.

طردوا العامرية عارية-

شبه عارية في الطريق

ثم جاءوا ليصطنعوا من دمي شارة الثأر مني ومنها

4

الرجال المهمون كانوا لطيفين جدا

..

فتشوا

وأقول الحقيقة كانوا لطيفين جدا

وقالوا أتكتب شعرا ؟

- نعم

- قد عرفناك..نأسف جدا لهذا

وساقوا اعتذارا وقالوا هواء

ثم قادوك للمخفر الشبحي الذي قد يكون

وقد لا يكون.

5

تستفيق المدينة، تغسل أسنانها
وتحدق في السقفِ سائلة
كيف ينصرف اليوم؟
حتى يجيء غد
فيقربها من رواتبها آخر الشهرِ
مرصودة لديون الحوانيتِ،
والكتب المدرسية،والجلسة المستحيلةِ
في شاطئ النيلِ
تحت غناء المغني
ورائحة الليل واللحم والأنجم الصادحة.

الطفولة تخرج في زيها المدرسي لتجلب فولا
تعبئ منه بنادقها للزحام المنظم
في الفصل،
في الباحة المدرسية،
في رحلة العود للبيتِ،
في الانتظار الطويل إلى أن يحين الغداء.

النساء الصبيات يركضن خلف البكاسي
وينبجس الحب ما بينهن وبين دواب الحديد.

.. ..

تحت هذا الزمان الكئيب هنالك من يقرع الدف للرقص-
من يتغنى

بليلاه

أو يتثنى

من الطرب المتمشي بأقدامه كالنمال

لا تزال الحياة الشهية مطلوبة

وبيوت الحلال تفتح أبوابها

ثم تغلقها،

والصبايا يؤملن في فرح فاخر

ومغن شهير

ويدفعن عشاقهن إلى الداخلية في غلس الفجر

خلف الجوازات والهجرة القاصية.

6

تدخل العامرية بيت أبيها
وقد أذن الفجر والتأم الصف..
تدخل غرفتها،
ترتمي في السرير بكامل زينتها..
تذهب العامرية في النوم..لا تتذكرني..
لا تخاف على من السيف والنطع –
(حدثني عاشقوها كذلك سيرتها في الهوى.)

..

كانت العامرية قد هربت من مقر الإمارة،
من دجل الزائرين الأجانب،
من صحف تتبرقش بالحبر أنهارها.
تركت يانصيب الخلافة مرتهنا طفلها
ورئيس الجلاوزة السيء الصيت

يطلق سرب الشواهين تجمع أخبارها.

..

أقحوان الخلافة كان زهورا صناعية
وخمور الخلافة مغشوشة
وجنود الخلافة يقفون آثارها.

...

فاشهدوا أنني ارتضي سيرة العامرية في
وفي كل عشاقها الآخرين:
الذين قضوا

والذين يجيئون من ،ظلل النخل جيلا فجيل.

واشهدوا لي لدى العامرية أني أسير هواها

وفي الموت أطلب قبرا لديها

وفي البعث وصلا جديدا

وأن هيامي طويل.

واشهدوا أنني كنت أعرف

أن المدينة ذاهبة في بيات الشتاء

وأنا وحيدان

ليس لنا حارس أو نصير

فلو أخذوني،

إذا فتشوني،

إذا قيدوني

فان هوى العامرية سوف يكون هتافي الأخير.

7

تكون العصافير، صاحية
ووشاحك في شجر الفل ملقى
وآنية الشاي مطلولة بالمطر.
وتكونين ضاحكة الوجه جذلى
مقدمة في النساء.
وتكونين حبلى
وقد أشرق الطفل في وجنتيك
وأفعم أنحاء جسمك بالروعة المخملية والامتلاء.
وتكون القداسة عابقة في المكان
وبلورة البدر عالقة بالشجر.

عند ذلك أدخل كالظل في الظل،
كالماء في الماء
أدخل مؤتزرا بالهوى والحذر.
أتسور حيطان بينك في سلم من حرير القمر،
اهتدي لفراشك بالهمسات المضيئةِ
واللغة الباطنية للجسد النائم المستفيق.

...

ليس كالعاشقين الغزاةِ دخولي
ولكن لأحرس بستان حسنك مني.
وأرعاك في اليسر
والعسر،
في حالة الخوف والعافية،

إلى أن تغرد للشمس أجنحة الجلنار.

..

لو تحبيني فافتحي الباب،

نادِ أباك

يتوج حبا من الجمر والنار-

حبا من الجلنار.

8

تكون الأراجيح منصوبة في الرواق

وفي البهو أحصنة اللهو مسرجة تنتظر

وتكون الأميرة في الأسر حين تفاجئ مملكة النوم

أطفال حبك فوق السرر

ويكون الضياء خفيفا

ووجهك منقسم في ملامحهم والغرر.

ويكون جمالك خمرا معتقة

وبساتين جسمك مثقلة بالضياء.

وتكون القداسة سارية في عروق المكان

وسائلة في الحجر.

عند ذلك ادخل كالضوء عبر الزجاج

وكالموج عبر المضيق.

اهتدي للأكف النوائم قابضة شعر لعبتها فتفيق.

ويغمرني الشهد-شهد ابتسامتها النائمة.

فالدخول على نائم في حرير طفولته

قد تلبس وجه الدخول عليك

والرحيل لأجزاء"عم" و"قد سمع الله"

أصبح بعض الرحيل إليك،

واليك ومنك سأذهب كالأرض والماء

في مهرجان الثمر.

9

استفيق من النوم ممتلئا بالعذوبة

مرتعدا من جمال المنام

كانت الأرض عصفورة

ودمي يتنبأ

والعشق ينثال ملء العظام.

10

استفيق على شبح الفقر ،صوت المدينة
إذ تتجشأ بعد الغداء،
تجر كراسيها للظلال،
يحدق وجه المدينة في وجهها
ويحدث بعض المدينة عن بعضها
وتفوح الضحالة والكلمات البليغة والحكمة الرائعة.
.. ..خرجوا للكفاح المثير وعادوا-
غدا يخرجون،يعودون،
ينطحنون لأجل الأمور الصغيرةِ
ينهال واحدهم بالعصا فوق أولاده
ويديمون بالنرد والزهر والكلمات البوار
حكاية أيامنا المجفلة.

قال واحدهم:" كانت العامرية ملكا لنا
ولأحفادنا
ثم صارت لأعدائنا"
- وبكى.

11

ضاقت الروح، ضاقت كثيرا

وطافت بنا الأرض في فلكِ الشؤم والاكتئاب.

هل سنخرج للشمس ثانية بعد هذا العذاب؟

- لا أظن

هل سنغسل أسناننا؟

ونغير أثوابنا؟

وننزه أعيننا في كتاب؟

- لا أظن

هل سننفث تبغا

ونشبع أرزا

ولحما وبن؟

- لا أظن.

هل سيقبل أطفالنا أن نقبلهم؟

- لا أظن.

هل ستلبس أزواجنا عطرهن لنا وغلائلهن؟

- لا أظن.

القيامة قائمة وهو اليوم يوم الحساب؟

- لا أظن.

لا نزال على كوكبِ الأرض

في زمن بعد ختمِ النبوةِ

أم أننا في السراب؟

- لا أظن.

هل لديك قليل من الموت

كي نتقاسمه في كؤوس الشراب؟

ـ لا أظن.

قل لها(هذه الأرض) أن تتوقف شيئا قليلا

لننزل عن ظهرها

ـ فليكن

.. ..

...

'فتح الباب' ..

أجفلتِ الأرض من تحتنا

وانطلقنا مضيئين نحو القرى والدمن،

كوكبيين

نبحر ' في زمن قبل عصرِ الهراواتِ

قبل نشوءِ الوطن.

11

حيث لا ينبت، العشب،

لا يصهل، النهر،

لا تتصابى الصبايا ولا يستبين الكلام.

حيث ،يحلق شعر، السبايا

و،تفضح أسرارهن.

حيث ينفرد الفأس، بالساقِ

والشحنة الكهربية بالأ،ذنِ حتى تطن

ويندفع القلب نحو اللسان.

حيث عبء، الرجولة منكمش

في الخصى الحجريةِ

والحرس الكلب، يبعثها من مكامنها

كالطرائدِ

في لوثة الاغتلام.

حيث ،يمنع ماء، الوضوءِ عن الروحِ

والروح، تخرج من يأسها

كالقذيفةِ هاربة من نخاعِ العظام

حيث يحترق، الجفن، تحت الإضاءةِ

ليلكة الحلم

تخرج حمراء ، حمراء

من فجواتِ المنام.

حيث لا ينبت العشب،
كانت تفوح، الخزامى ويسعى القطا والحمام

حيث لا يصهل النهر،
كان النخيل يسوي ضفائره
ويرامق صورته في المياه

حيث يعتكر الصمت،
كانت تنوح القماري
وكان المغني يردد آهاته
ويصوغ عقود الكلام.

..

حيث تنبعج الروح بالخوف واليأس
كانت وداعتنا
تستميل إلينا القطا والحمام.

حيث يمتشقون الحسام على الحب والفكر
كان الحسام يعس
ويحرس دالية الفكر من فتكات الحسام.

حيث خيم عصر الظلام،
كان لي وطن لم يعد وطنا

وزمان أليف

ففارقني في الزحام.

12

تدخل العامرية في حلة النار شاهرة حسنها

عقدة من لساني تحلين بالحبِ

بالحبِ ادخل ساحات حسنك وثبا،

أثرثر حتى تحبين ثرثرتي عن عبير المياه وأطواقها

ومنام الظباء الصغيرة فوق حرير الرمال

ثم يأتون

في الفجرِ

منتصف الليلِ

يأتون بالنقد والعد

بالحل والعقد

يأتون يختطفونك مني.

يأخذونك من بين ثرثرتي عن عبير المياه وأطواقها،

يفعلون بأنحاء جسمك ما لا أحب

تلافيف ذهنك

ثم شرايين صدغيك (حيث الدماغ)

وأوردة القلب (حيث العذوبة)

حتى تصيرين أرنبة

دمية

فأرة

وتعودين سيئة الصيتِ

أقذف أمعاء قلبي من العار

أبكي طويلا كثيرا مريرا.

..

..

سيجيئون يوما ويلتقطونك كالمومسات

ولن يسمعوا شهقة المصحف المغربي

وطقطقة النار في الفازة الفارغة

وسنبلة الدخن تبكي لأجلك،

كراسة الشعر إذ تتشفع فيك

ولا عدل يؤخذ،

لا يسمعون دموع النحاس القديم

فتصلية من جحيم.

13

قال عصفور ُ قلبي :سنرتحل ُ الآنَ

عن هذه الدوحةِ المقفرة.

سوف نترك ُ أشلاءَ من ُقتلوا

وسلاسلَ من وقعوا في الإسار.

سوف نترك ُفوجَ السبايا

وأعشاشنا في ضواحي النهار.

سوف نترك ُ للبربرِ المنتصر

ما تبقى علي ساحةِ المجزرة :

الخواتيم ُ والإسورة

والبخور ُ اليساري والجثث ُ المنذِرة .

للبرابرةِ الظافرين سنترك ُ

أجداثَ أحبابنا

ومفاتيحَ أبوابنا

ُثفل قهوتنا

ومعالمنا الداثرة.

للبرابرة الظافرين

نتنازل عن كل شيء

سوى هذه الدوحة المقفرة .

..

..

إنني آخر ُ الراحلين

أنشر ُ الآن أجنحتي ذاهبا عن بلادي ،

وأشياء قلبي،

وأبناء سربي،

وقافيتي المزهرة.

إنني ذاهب فاهنأوا أيها الظافرون ،

في الفراغ تجلجل حكمتكم ،

وتروجُ حوانيتكم :

أنتمو العارفون،

أنتمو –ليس غيركم – المؤمنون

فانظروا ما فعلتم بنا

وبأنفسكم والإله الرحيم.

...

إن صقرا عجوزا مليئا بحكمته

وغبارات أيامه يذهبُ-

في نهايات أيامه يتغربُ

عن حبه الأبدي،

ويخرج من غابة الطلح حيث تنوح القماري

ومنَ ربعِ عزّة حيث السعادةُ أغمقُ لونا وأجمل .

14

ليس من وطن غير هذا

ليس من زمن آخر

ليس من ماجد ليسلفنا وطنا-زمنا

وعلى المرء ان يتحامل

يحيا..يشيخ..ويدفن

يعطي مفاصله للتخيل ويمنح عينيه

(عبر العشوبة)

للنوق والثاغية.

..

تحت هذي السماء الكبيرة نصنع دورا وأطفال،

نربط أقدارنا بالنساء النحيفاتِ

'يعلفن عند الزفاف

ليصبحن في بعض يوم عواجيز

أو يتكورن بالشحم واللحم والورم الأبدي.

تحت هذي السماء الكبيرة نبني منازلنا

ونناجز بعضا بكل أظافرنا

وخناجرنا

وبقايا من الجاهلية فينا.

..

تحت هذي السماء الكبيرة
ينفجر الحزن مثل القذيفة
يندفع المرء في سروات الخيال اللذيذ
يجادل فكر أوروبا
بفكر أوروبا
وينطفئ المرء في عتبات الكهولة،
يخفض هامته وهو يدلف للسوق بين الرقيق.

.. ربما كانت الأرض مغرية بالتأرجح،
والنخل ذو ‘ظلل
والسحاب المباعد ما بين ساقيه يملؤنا بالضآلة
أو يتهددنا بالحريق.

ربما كان عشب السماء اشد يناعا
وفاكهة الموت –في غير موسمها-
تتدانى من القاطفين.

ربما قتلتنا الحقائق
وهي تنهال فوق سذاجتنا -
ربما كان عبء الحقائق اكبر مما نطيق

ربما كان جيلا كسولا من الناس
هذا الذي
لم تعلمه عن قوة الجاذبية تفاحة ساقطة.

15

هاهي الأرض تذهب شيئا فشيئا

تغيب القرى عن مضاربها ويغيب الشجر.

شفرة الريح مرت بشعر المراعي

وجاست أصابعها في الغدر

يقع النهر في ضفتيه أسيرا

ويرتحل الوعل

والفهد

نشر الخزامى

وسرب الظباء.

هجرتنا العصافير

حمحمت الخيل مسرجة للرحيلِ

وغاب الندى والمطر.

تذهب الأرض،تأخذ بالموت شيئا فشيئا.

ينوح غراب من الثلج فوق الكثيب،

يدقق منقاره في جواز السفر.

كيف تقوى العنادل تحت سماء حديدية

(مثل هذي)

على الشعر والعندلة.

كيف تنتفض العامرية

ترجع منجبة للبلابل ملهمة للاغاني

مصلية لإله المآذن والبسملة.

16

جرس الباب يقرع والعامرية تجمع أثوابها

وتخبئ صهباءها في الدواليب

والباب يقرع-

تقفز خارجة.يقفز الباب

يدخل جمع المهمين

كان المهم البدين، الذي أطلق النار يزأر، -

هل قتل العامرية

أم قتل الشاعر المتغني.؟

ليس لي من دم..اقتلوني

أجادل،

اصنع، زوبعة كي تفر.

طلبت من الجمع ماء بلادي

ليصبح آخر زادي

نظرت من النافذة:

كانت العامرية نافورة من دم

وأنا والمهمون نستبق الباب نحو القتيلة.

..

قبل أن نتسابق نحو الجميلة

كان رجال لهم قامة النخل قد حملوها وغابوا.

17

أفهم الآن شيئا قليلا عن الأرض..
عن دوران الفصول وفقه الصبابة-
كيف تكون الصبابة محرقة
بين شعب وبين وطن.
أتعلم شيئا قليلا عن الموتِ
كيف يكون التحاما مع زمن دائر في زمن:
يبلغ العمر إحدى نهاياته،
يتحول زهو الحريق الذي يتقمصه الجلنار
لرمانة من عقيق:
نموت ونبعث فينا.

محور الكون ليس أنا
ليس نحن،
ومن حقنا أن ننادم موتا جميلا
غروبا جميلا بظل الدوالي
وتحت الغمام المغني
غمام السحر.
بينما تتهادى أصابعك العامرية
بين مناخات شعري
مفتشة عن هنالك
حيث العذوبة والأريحية
والرغبة الشاعرية في الموت تحت حرير القمر.

18

ستكون الحديقة مأنوسة

والإوز السماوي يسبح في المنحدر

ويكون الضحى في أوائله

والنهار مطير(فإني احب المطر)

وتكونين حافية حين تأتين في ثوبك المنزلي

وفي حسنك الأبدي

وفي عطرك المدخر.

وتكون أنامل كفيك جائلة بين سحري ونحري

وغائصة تحت شعري

وتكون السماء معبأة بالقداسة ملتصق وجهها بالشجر.

عند ذلك أخرج،

يصطفق الباب خلفي

واذهب مبتعدا في الطريق.

أذهب الآن

سوف يكون الضياء الخفيف رفيقي

إلى قمة التل فالمنحدر

ويكون الندى شاهدي حين أدخل تحت ثياب الغمام

وأدرج في قطرات المطر.

وتكون العنادل صادحة حين أنشر أجنحتي وأطير.

..

يذهب الحزن عني.

19

لم يعد في الحديقة إلاكِ
ما وردة غير خديك،
لا ياسمين سوى ضوء ثغرك
لا أقحوان.

إن شيئا من الحب يرفعنا فوقنا
ويقربنا للنجوم التي هربت من حظائرنا
واحتمت بالغمام.

-إنني الآن جائعة
وحديث الهوى لا يليق
فدعني أنام.
ليس في البيت شقفة خبز ولا من إدام
وأنا الآن مأخوذة بالقصور التي تتحدث عنها
كأنك بعض بنيها
فأشعر باللذة المرمرية تأخذ باطن كفي
من دغدغات الرخام.

- ستكون الحديقة مزهرة ،
وكثيرا كثيرا يكون الطعام
لا طوابير للخبز،لا ولد جالس في القمامة
لا خندق في الطريق ولا صخب أو زحام.

سوف نملأ قربتنا بالهوى،

ونعلقها في مهب النسيم الخفيف

وأسقيك منها

فتنسين عهد الظما والأوام

وتعودين مشرقة الوجه،مملوءة العود

حناء كفيك صائحة في الظلام.

-إنني الآن جائعة

والحمام، المرفرف في داخلي يتوجع

يلطمني بجناحيه تحت الحزام

..

الحديقة جرداء والسلة الذهبية صائمة

فبماذا تعشيت؟

ِصف لي موائدهم

إن وصف الطعام سيجعلني أتنفس برقا وياقوت،

يرأمني ويهدهدني كي أنام.

- كل أبنائنا في الخليج بخير

وكل عمومتنا يبعثون السلام،

يبعثون الزكائب بالأرز ملأى

وبعض الدنانير والاحترام.

سوف نخرج من مأزق الجوع

فانتظريني إلى أن يجيء السلام

سأعبئ منديل حقويك خوخا ونعناع،

آخذ خوفك منك وأذبحه وأوزعه في الخيام

..

..في الخليج تباح السواقة للسيدات،

وتعمر سوق الخليج بما تشتهي الروح من لذة وانسجام.

سنشيد قلعتنا بالمسلح

سوف نسيج أشجارنا بشباك الحديد

ونزرع أطفالنا في الرطانات في العصر في التقنيات العظام.

- سوف تندلق الحرب فينا وتأخذنا من بنينا

كيف نتركهم يدخلون عرين رجولتنا

أو عرين أنوثتنا كيف نتركهم يدخلونا؟

- سوف نقترع الآن

هل تأخذين حروف الصبابة

أم تأخذين هواء الكلام؟

تأخذين الهراوات تنهال فوق المواكبِ

أم تأخذين حرير النظام

وجميل بعينيك فوج الصبايا

أم البحر محتدما بالضرام

وعزيز عليك الهوى

أم عزيز عليك الرغام؟

..

سوف نقترع الآن

فليذهب العشب للنهرِ

والفأس للصخر

والسهد للديدبان.

-هل سنقترع الآن حقا؟
متى كانت الأرض ثوبا فنخلعه
أو فتيلا فنشعله
أو خياما فنطوي الخيام؟
إن سرب الحمام
يذهب الآن مبتعدا
راسما في قماش السماء
فرصة واحدة
موجة مفردة
موجة تتجمد في أفق لا هواء به أو غمام.

..

ضاعت الفرصة الذهبية منا
فهيا.. أفسحي لي قليلا
دعيني أنام.

20

نبهيني إذا نهض الزهر بين الخنادق

والعشب قام،

وإذا عاد سرب القطا واليمام.

نبهيني إذا صهل النهر ثانية

وتدفق يغرف من نفسه ويساقي نداماه

في غابة الطلح

أو غابة الخيزران.

..

نبهيني إذا أزهر السيسبان

وإذا ظلل الغيم سهب البطانةِ

ألقى قذيفته السندسية في كردفان،

نبهيني لأنهض من رقدة الموت،

من شلل الخوفِ،

أنشر أجنحتي

ذاهبا

للبلاد التي تتراءى لنا في المنام.